الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام

الإمام محمد بن علي "الجواد" عليه السلام

بقلم

الشيخ محمد حسن آل ياسين

www.aljawadain.org

الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام

الإمام محمد بن علي "الجواد" عليه السلام

بقلم

الشيخ محمد حسن آل ياسين

المطبعة العربية - بيروت

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمدٍ المصطفى المختار خاتم النبيين وسيد المرسلين، وآله الصفوة الميامين الطيبين الطاهرين.

وبعد:

فقد تكرر مني القول فيما قدَّمتُ به الكتب السابقة المعنيَّة بالأئمة المنتجبين: ان الحديث عن تأريخهم المشرق الوهاج اجملُ ألوان الحديث، وان سِيَرَهم العطرة المضمَّخة بالأريج أعذبُ السِّيَر، وان حياتهم المعطاء الدفّاقة بالطهر والنقاء أسمى ما عرفت البشرية من حياة؛ فيما تنشر من هدى، وتمنح من رشد؛ وتضفي من ألق ونور.

وقلتُ سابقاً وكررت القول ايضاً: ان نفسي كانت تسوقني- ومنذ حين- الى كتابة هذه الاوراق المحملة بخلاصة اللباب النافع الماتع؛ والمقتصرة على المختصر المفيد، في تسجيل أقباس من إشعاع اولئك القادة العظام؛ أبواب علم النبوة؛ وخزّان كنوز الوحي؛ وحاملي أسرار التنزيل، لأن تلك الاقباس المتلألئة الزهراء هي زبدة عطاء الاسلام الأصيل؛ بما حمل من خير وصلاح وإشراق، وبما ألهم من عزم ومضاء وفداء.

وعشتُ ازاء هذه الرغبة الملحَّة بين عاملَيْ أخذٍ وردٍ، يستقي

أحدُهما حـــذرَه من شموخ هذا الموضوع ومن التضاؤل أمامه خوفاً وفرقاً من ولوج خضمه البعيد الغور، ويســـتمد ثانيهما عَزْمَه من الإحساس بـــأن هناك جوانب في تاريخ الأئمة وســـيرهم وتراثهم الفكري، لم تبحث على النحو الذي يجب ان يكون عليه البحث– بمعناه المعاصر–في العرض والسرد والتحليل، بعيداً عما هو خارج عن المنهج العلمي من زوائد التفصيل والتطويل. بـــل ان هناك من تلك الجوانب مالم يسلّط عليه الضوء الكاشف بالقدر الذي ينبغي له من جلاء وتبيين، ولم تُجْمَع أطرافه المهمة في دراســـات موجزة تغني قارىء اليوم–وهو العَجِل الضيِّق الوقـــت– عن الرجوع الى الكتب الضخمة والموســـوعات الكبرى التي لم تلتزم في المعظم بطرائق التبويب المنهجي الحديث، ولم تخضع في الغالب لقـــواعد التدقيق والغربلة والتمحيص.

واستسلمتُ أخيراً لعنف الرغبة التي عاشت في حنايا نفســـي وقتاً غير قصير من الزمن، واقتحمت الميدان وكلي أمل بأن يحالفني التوفيق في إنجاز حلقات هذه السلسلة على النحو الذي رجوته لها: قياماً بواجب الوفاء بأبرز مسائل البحث ونقاطه الرئيسة،والتزاماً بالأمانة والموضوعية في النقـــل والنقـــد والمحاكمة واســـتخلاص النتائج.

وهكذا بـــــدأتُ العمل –متوكلاً على الله– في الاعداد لهذه الدراسات.

وعلى هدى ذلك المنهج حررت هذه الصفحات.

والله المسؤول ان يكتب لي في هذا المسعى بعضَ النجاح في إفادة القراء ونفعهم، وبعضَ الاجر والثواب في كتاب حســـناته وميزان نفحاته. وهو –تعالى– وليُّ ذلك كلّه من قبل ومن بعد.

❁ ❁ ❁

وستعنى هذه الرسالة بفصولها الثلاثة بعرض موجز لسيرة الامام التاسع من ائمة الحق الاصفياء المطهَّرين، معدن العلم ومصبـــاح الهدى ومنار الشريعة ومهوى أفئدة المؤمنين، محمد (الجواد) بـــن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام.

وقد عقدتُ الفصل الاول منها على تاريخ الامام (بـــين ولادته وإمامته)، متحدثاً فيه عن حياته الشخصية وشؤونه الذاتية، ومنها الولادة والنشأة، والكنية واللقب، والزوج والولد، مع وقفةٍ متأنية أمام رزايات تاريخ الولادة وما يمكن ان يحوم حولها من شـ ـكوك وتساؤلات، وإشارات عابرة الى بعض ما عانى هذا الشاب اليافع في تلك الحقبة الاولى من عمره من آلام وهموم ، وما تفاقـــم منها شدة وعنفاً في حادث وفاة ابيه وما تردّد في سبـــب تلك الوفاة من سمٍ وسوء قصد.

وعقدتُ الفصل الثاني على تاريخ الامام (بين إمامته وشهادته)، شارحـــاً فيه الادلة على إمامته في ضوء النصوص النبـــوية العامة

الموثقة الدلالة والسند، والنصوص الخاصة المأثورة عن ابيه المسلّم الامامة، مما يبحث عنه طالب النص الذي يعتقد أن لا إمامة بدونه. ثم عرضتُ ما تضافرت عليه الشهادات التأريخية بـأهليته للامامة وكفايته لذلك وتفرده بالمواصفات المطلوبة التي أجمع جمهورفقهاء المسلمين على وجوب اجتماعها في شخص القائم بهذا الامر، إذ لا إمامة لديهم بغيرها. مع بيان مقتضب لجمل سيَر من ادّعى الامامة والولاية العامة في عصره، لغرض التوعية والمقارنة والتنبيه على حقائق الامور.

ثم أوردتُ بشيء من الاستيعاب والتفصيل ما ذكر المؤرخون من علاقاته بحكّام زمانه في مختلف جوانبها السلبية والايجابية، وما اختار الله له من سرعة الوفود عليه وهو في عنفوان الشباب وزهرة العمر، ليعيش مع اجداده الطاهرين وآبائه الميامين في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وما قيل في أسباب وفاته ومنها احتمال ان يكون ذلك بالسم، وأن يكون الخليفة وابنة أخيه من وراء ذلك الاغتيال الأثيم، مع بيان يوم الوفاة وشهرها وسنتها ومكان مرقده المقدس ومشهده الشريف.

وعقدتُ الفصل الثالث على (تراث الامامة) الذي تلقته الامة من الامام الجواد– ع–، فاستعرضتُ ما هو مسلّم الثبوت في تحديد مصادر علم الامام ومنابع فقهه وفضله، واتصال ذلك كله بالمأثور النبوي والعطاء الرسالي والتبليغ السماوي المنزل على سيد

الخلق وخاتم النبيين–ص–. ثم اوردتُ شواهد ومقتطفات من ذلك التراث الذهبي الخالد الذي يمثّل الفكر الاسلامي الناصع بأمانةٍ وصدق، ويجسّد الهَدْي الديني القويم بدقةٍ وعمق، وكان من تلك الامثلة الاستشهاد ببعض ما أُثِر عنه في تمجيد العقل والعلم والحضّ على مكارم الاخلاق ومحاسن السلوك، كما أوردت نصوصاً بألفاظها لبعض ما رُوِيَ عنه في مسائل علم الكلام والتوحيد وشؤون الاسماء والصفات الالهية، وفي الحثّ على التمسك بالقرآن الكريم والشرع المبين، وفي اللجوء الى الدعاء عند الشدائد والمهمات التي تثير قلق الانسان المؤمن، وفي غير ذلك ونحوه مما يضمن صلاح الدارين وخير النشأتين.

ولما كان الفضل الاكبر في وقوفنا على ذلك التراث الزاهر– فيما أوردنا من شواهده وما لم نورد– انما يعود حصراً لأولئك الرواة الذين شافهوا الامام وسمعوا منه وحفظوا حديثه فنقلوه الى الاجيال من بعدهم، كان التعرف بهم حتى بمجرد سرد الأسماء تتمةً ضرورية لا ينبغي إغفالها في هذا البحث،إن لم نقل بانها جزءٌ لا يتجزأ منه لمن أراد الالمام بجميع اطراف الموضوع واستيفاء جوانبه الاساسية. وقد التزمتُ –لزيادة التعرف بهؤلاء الرواة– بذكر اسماء مؤلفات من نصَّ المترجمون له على كونه مؤلّفاً لـه كتابٌ أوكتبٌ مدوّنة، عسى ان يكون في ذلك بعض التعبير عن الامتنان لهؤلاء الروّاد المتقدمين، وعن الاعتزاز بجهدهم المشكور في الحفاظ

على ذلك التراث المبارك ورواية نصوصه، وعن الاحترام والتقدير لمشـــاركتهم الفاعلة في عملية البحـــث والتدوين في أوائل المائة الهجرية الثالثة.

❁ ❁ ❁

وفي الختام–كما في البـــــدء– اكرّر حمد الله تعالى على نعمائه وآلائه، وأبتهل اليه عز وجل ان يســـدّد الخطا على الطريق، ويمدّ بمزيد من التوفيق، إنه خير مسدّد وموفق ومعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمد حسن آل ياسين

العراق / بغداد – الكاظمية

محمّد بن علي «الجواد»
بين
ولادته و إمامته

كانت إطلالة محمد بن علي (الثاني) على آل محمد –ص– مثاراً لفرحـــة غامرة خصت الامام الرضا– ع– وعمت جميع الآل ومن اليهم من شيعة ومحبين.

ونشأ هذا الوليد السعيد في دارةالوحي ومهبط التـــزيل، ونما وترعرع في البـــيوت التي أذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه، حـــتى اصبح ذلك الشابّ اليافع الذي تتطلع اليه النفوس قبـــل العيون، وتنجذب اليه البصائر قبل الابصار.

وعاصر هذا الفتى منذ نعومة أظفاره آلام عصره وهموم دهره، وواكب شجون تلك الحقبة الزمنية الحافلة بالاحـــداث والمفاجآت ساعة بســـاعة ويوماً بـــيوم، فكان في كل ذلك مثالاً لأسمى مراتب الصبر والتحمل، والكظم والتوكل، ايامّا كانت الصعاب وكيفما تراكبت الخطوب.

في رحاب المدينة المنورة[1] حيث بيت النبوة ومهد الرسالة، وفي احدى ليالي شهر رمضان على الارجح الأشهر[2] -ولعلها ليلة الجمعة-[3]، لتسع عشرة ليلة خلت منه[4]، او في منتصفه[5]، أو الخامس منه[6]، أو كما قيل: لسبع عشرة ليلة مضت منه[7]، أو في اليوم العاشر من رجب[8]، ولد إمام الهدى محمد بن علي بن موسى ابن جعفر -ع-.

والمشهور لدى جمهور المؤرخين المعنيين بتواريخ الأئمة -ع- ان الولادة كانت في سنة ١٩٥هـ[9]، كما ان المشهور المنصوص

(١) باجماع المصادر الآتي ذكرها.
(٢) الكافي: ١/ ٤٩٢ والارشاد: ٣٣٩ وتهذيب الطوسي: ٦/ ٩٠ وكفاية الطالب: ٣١١ وبحار الانوار: ٥٠/ ١ و٢و١١ وجواهر الكلام: ٢٠/ ٩٩.
(٣) إثبات الوصية: ١٨١ والمناقب: ٢/ ٤٢٦ ومطالب السؤول: ٢/ ٧٤ وبحار الانوار: ٥٠ /١و٢و٧و١١و١٣و١٥ وعمدة الزائر: ٣٢٤.
(٤) إثبات الوصية: ١٨١ والمناقب: ٢/ ٤٢٦ ومطالب السؤول: ٢/ ٧٤ والفصول المهمة: ٢٤٨ وبحار الانوار: ٥٠ /١ و٢و٧و١١ ونور الابصار: ١٤٧ وعماة الزائر: ٣٢٤.
(٥) المناقب: ٢/ ٤٢٦ ووفيات الاعيان: ٣/ ٣١٥ والأئمة الاثنا عشر: ١٠٤ وبحار الانوار: ٥٠/ ١و٢و٧و١٣و١٥ وعمدة الزائر: ٣٢٤.
(٦) وفيات الاعيان: ٣/ ٣١٥ والأئمة الاثنا عشر: ١٠٤.
(٧) بحار الانوار: ٥٠/ ١٣ وعمدة الزائر: ٣٢٣.
(٨) المناقب: ٢/ ٤٢٦ ومطالب السؤول: ٢/ ٧٤ وبحار الانوار: ٥٠/ ٧و١١و١٣ وعمدة الزائر: ٣٢٣.
(٩) الكافي: ١/ ٤٩٢ وإثبات الوصية: ١٨١ والارشاد: ٣٣٩ وتهذيب الطوسي: ٦/ ٩٠ وتاريخ بغداد: ٣/ ٥٥ والمناقب: ٢/ ٤٢٦ ومطالب السؤول: ٢/ ٧٤و٧٥ وكفاية الطالب: ٣١١ ووفيات الاعيان: ٣/ ٣١٥ وتذكرة الخواص: ٣٦٨ ومنهاج السنة: ٢/ ١٢٧ والفصول المهمة: ٢٤٨ والوافي بالوفيات: ٤/ ١٠٥ والنجوم الزاهرة: ٢/ ٢٣١ والأئمة الأثناعشر: ١٠٤ وبحار الانوار: ٥٠/ ١و٢و٧و١١و١٣ وجواهر الكلام: ٢٠/ ٩٩ ونور الابصار: ١٤٧ وعمدة الزائر: ٣٢٣.

عليه في المصادر ان خروج الامام الرضا –ع– الى خراسان باستدعاء من المأمون كان في سنة ٢٠١هـ –وهي السنة التي اعلنت فيها ولاية العهد–، كذلك فان الارجح بل الصحيح في تاريخ وفاة الامام الرضا وقوعها في سنة ٢٠٣هـ، ويكون مقتضى ذلك كله ان عمر الامام الجواد يوم وفاة ابيه لا يتجاوز (سبع سنين وأشهراً)[١٠].

ولكننا على الرغم من شهرة هذا التاريخ كما اسلفنا، قد نجد في النفس ريباً وتردداً من قبوله وتصديقه، لأننا لم نقرأ في النصوص المأثورة ما يقنعنا بصحة ذلك أو يرجّح لنا سلامته من السهو والوهم، ولعلنا نستطيع الزعم ان في مجموع الشواهد والقرائن ما يبعث على الشك القوي فيما ورد في تحديد التاريخ المذكور، بسبب التضارب في الاقوال والاختلاف في المعلومات، بنحو يحمل الباحث على الحيرة والتردد، وخصوصاً عندما تردنا الاشارة الى وجود هذا الاختلاف فيه منذ صدر القرن الرابع الهجري في قول المؤرخ المسعودي: (أهل الامامة اختلفوا في مقدار سنّه عند وفاة أبيه)[١١]، وربما يحتمل حصول تصحيف أو تحريف في الرواية الاولى لتاريخ الولادة كأن تكون خمساً وثمانين بعد المائة –مثلاً– فصُحّفت الى خمس وتسعين –خصوصاً اذا علمنا انها ربما تُرْسَم يومذاك (وثمنين)–، ثم سرى هذا التصحيف في المصادر الناقلة عن

(١٠) إثبات الوصية: ١٨٥–١٨٦ والارشاد: ٣٣٩.

(١١) مروج الذهب: ٤/ ٨.

الرواية الاولى جيلاً بعد جيل.

وحدّث الكليني والصدوق: ان الامام الرضا –ع– لما خرج الى خراسان (كان لأبي جعفر –ع– سبع سنين)[١٢]، ولكن ذلك لا يلتئم مع ما روي من ان الامام الرضا لما حج قبل سفره الى خراسان كان ابنه محمد معه في حجّه هذا، وكان (على عنق موفّق الخادم يطوف به)(وله في ذلك الوقت سنة)[١٣]، كما ان ذلك لا يلتئم مع ما رواه احمد بن محمد بن ابي نصر ومحمد بن سنان وكانا بمكة(وابو الحسن الرضا –ع–بها)، فقالا له:(جعلنا الله فداك، نحن خارجون وانت مقيم، فان رأيتَ أن تكتب لنا الى ابي جعفر –ع– كتاباً نلم به، فكتب الينا، فقدمنا –الى آخر الرواية–)[١٤].

فهل كان ابو جعفر مع ابيه في الحج ام كان في المدينة؟، وهل كان له في ذلك الوقت من العمر سنة أم كان في عمر المكاتبة والمراسلة؟، وهل يمكن قبول رواية كونه حينذاك (على عنق موفّق يطوف به) مع رواية ان ابا جعفر –ع– كان(يدبّر أمر الرضا –ع– بالمدينة)[١٥] ومع رواية امية بن علي التي يقول فيها:(كنتُ بالمدينة، وكنتُ أختلف الى أبي جعفر –ع–، وأبو الحسن بخراسان، وكان أهل بيته وعمومة أبيه يأتونه ويسلمون عليه)[١٦]. وهل ينسجم

(١٢) الكافي: ١/ ٤٨٨ وعيون أخبار الرضا: ٢٨٥ وبحار الانوار: ٤٩/ ١٣٣.

(١٣) اثبات الوصية: ١٧٥و١٨٢ وبحار الانوار: ٤٩/ ١٢٠.

(١٤) بحار الانوار: ٥٠/ ٦٧.

(١٥) اثبات الوصية: ١٨٣.

(١٦) بحار الانوار: ٥٠/ ٦٣.

ذلك مع ما روى محمد بن أبي عباد – وكان يكتب للرضا(ع) بخراسان وقد ضمَّه اليه الفضل بن سهل– من ان الرسائل والمكاتبات كانت مستمرة بين الامام الرضا وابنه ابي جعفر(ع)، وقال: (وترد كتب ابي جعفر – ع– في نهاية البلاغة والحسن)[17].

ثم يبرز أمامنا موضوع زواج الامام في حياة أبيه الرضا– ع– بابنة المأمون، وقد ذكر الطبري وآخرون[18] انه كان في سنة ٢٠٢هـ، ولكننا لم نتيقن صحة ذلك ولم نجد دليلاً يبعث على الاطمئنان به، وربما يقال انه مجرد عقدٍ شرعي فرضته الظروف السياسية الحادثة فتمَّ في خراسان بحضور الامام الرضا– ع– وغياب الزوج بالمدينة المنورة، أو انه تعبير عن هوى وعزمٍ في نفس المأمون لتدعيم الرابطة بين بني علي وبني العباس. وخالف ابنُ قتيبة هذه الروايات–وتابعه آخرون من المؤرخين كما يأتي في الفصل التالي– فذكر ان الزواج كان في سنة ٢٠٧هـ[19]. وتردَّد سبط ابن الجوزي في ذلك فقال:(واختلفوا هل زوَّجه بها قبل وفاة أبيه أو بعده، فيه قولان)[20].

وورد في عدة روايات تاريخية: ان المأمون لما عزم على أن يزوج ابنته الامام الجواد– ع– كان الامام يومذاك في سن التاسعة وقيل:

(١٧) بحار الانوار: ٥٠/ ١٨.
(١٨) تاريخ الطبري: ٨/ ٥٦٦ وفتوح ابن أعثم: ٨/ ٣٢٢ ومروج الذهب: ٣/ ٣٥٠ وتذكرة الخواص: ٣٦١ وكامل ابن الاثير: ٥/ ١٩٣ والبداية والنهاية: ١٠/ ٢٤٩ وشذرات الذهب: ٢/ ٣.
(١٩) المعارف: ٣٩١.
(٢٠) تذكرة الخواص:٣٦٨.

العاشرة وقيل: الحادية عشرة[21]، ولكن تلك الروايات لم تحدد السنة التي تمَّ فيها ذلك، ولم تعين المكان الذي شهده وهل كان خراسان أو بغداد.

وجاء في احدى روايات سبط ابن الجوزي:أن المأمون قد عزم (بعد موت علي بن موسى أن يعهد الى محمد بن علي بن موسى الرضا، وانما منعه من ذلك شغبُ بني العباس عليه) وخوفُ الانقسامات والفتن[22] كما جاء في النص، من غير إشارة الى صغر السن أو عدم الأهلية في نظر العباسيين بسبب ذلك.

وهكذا يبدو في ضوء تضارب الروايات واختلافها الكبير أننا لا نستطيع القبول بتاريخ الولادة المشهور وتصحيحه على وجه الجزم واليقين، بل ينبغي القول بأنه كان أسبق من ذلك بعدة سنوات لا يعلم عددها الا الله تعالى.

❁ ❁ ❁

ومهما يكن من أمر تاريخ الولادة وما قد يقال فيه، فقد كانت إطلالة هذا الوليد الكريم مدعاة لسرور آل محمد–ص– وبهجتهم الغامرة، وكان فرح الامام الرضا– ع– واهتمامه بقدوم هذا الشبل الغالي المؤمَّل بالغاً منتهاه، ورُوِيَ عن السيدة حكيمة بنت الامام موسى بن جعفر– ع– انها قالت:(حضرت ولادة الخيزران أمّ ابي جعفر، وقد دعاني الرضا – ع– فقال: يا حكيمة احضري

(٢١) الارشاد: ٣٤٢ والاختصاص: ٩٨ وبحار الأنوار: ١٠ / ٣٨١.
(٢٢) تذكرة الخواص:٣٦٥ – ٣٦٦.

ولادتها، وادخلي واياها والقابلة بيتاً. ووضع لنا مصباحاً...)[23]، كما رُوِيَ في بيان ابتهاج الامام الرضا –ع– بوليده: أنه بقي يراقبه ويناغيه في مهده طيلة ليلته[24].

وبعد إجراء مراسيم السُّنَّة ومستحباتها المأثورة أعلم الرضا(ع) الجميع أنه سمّاه محمداً وكناه أبا جعفر[25]، و((تقدم في آبائه –ع– أبو جعفر محمد وهو الباقر بن علي، فجاء هذا باسمه وكنيته واسم ابيه، فعُرِف بأبي جعفر الثاني))[26] تمييزاً بينه وبين جده ابي جعفر الاول –ع–.

واشتهر هذا الوليد منذ أول نشأته بلقبه (الجواد) حتى اصبح معروفاً به في مصادر التاريخ[27] وبمثابة الاسم الثاني له على ألسن الناس، كما كان من ألقابه: المرتضى، والقانع، والتقي، والمنتجب أيضاً[28]، ولكن (أشهرها الجواد)[29].

❁ ❁ ❁

(٢٣) المناقب: ٢ /٤٣٧ وبحار الأنوار: ٥٠ / ١٠ .
(٢٤) إثبات الوصية: ١٨١ وبحار الأنوار: ٥٠ /١٥ .
(٢٥) تاريخ بغداد: ٣ / ٥٤ وتهذيب الطوسي: ٦ / ٩٠ والمناقب: ٢ / ٤٢٦ وعمدة الطالب: ١٨٧ وشذرات الذهب: ٢ /٤٨ وجواهر الكلام: ٢٠ / ٩٩ وينابيع المودة: ٣٨٥.
(٢٦) مطالب السؤول: ٢ / ٧٤ والفصول المهمة: ٢٤٨ وبحار الأنوار: ٥٠ / ١٢ و ١٣ ونور الأبصار: ١٤٧.
(٢٧) وفيات الأعيان: ٣ / ٣١٥ وتذكرة الخواص: ٣٦٨ ومنهاج السنة: ٢ / ١٢٧ وعمدة الطالب: ١٨٧ والوافي بالوفيات: ٤ / ١٠٥ والأئمة الأثنا عشر: ١٠٣ والصواعق المحرقة: ١٢٣ وبحار الأنوار: ٥٠ / ١١ وتاريخ الخميس: ٢ / ٣٣٦.
(٢٨) الارشاد: ٣٥١ والمناقب: ٢ / ٤٢٦ ومطالب السؤول: ٢ / ٧٤ وتذكرة الخواص: ٣٧٣ والوافي بالوفيات: ٤ / ١٠٥ والنجوم الزاهرة: ٢ / ٢٣١ وبحار الأنوار: ٥٠ / ١٢ و ١٣ و ١٦ .
(٢٩) كفاية الطالب: ٣١١ والفصول المهمة: ٢٤٨ ونور الأبصار: ١٤٧ وينابيع المودة: ٣٨٥ .

أمّا أُمُّه فقد كانت أُمّ ولدٍ نوبيَّةً[30] مَريسيَّةً[31] في الأصح الأشهر وزعم بعضهم انها حبشية[32]، وقيل: هي روميَّة[33] ولم نجد في المصادر ما يؤيد كونها حبشية او رومية،وروى بعضهم انها كانت من أهل بيت مارية القبطية امّ ابراهيم بن رسول الله –ص–[34].

وكان اسم هذه الأمة الصالحة سَبيكة[35]، وصُحِّف في بعض المصادر الى سُكينة[36]، وقيل : كان اسمها دُرَّة[37]، وقيل: ريحانة[38]، وجاء في عدد من كتب السلف: أن الامام الرضا –ع– قد سماها(خيزرانَ)[39]، كما ورد أنها (كانت أفضل نساء زمانها)[40].

❁ ❁ ❁

(٣٠) الكافي: ١ /٤٩٢ والارشاد: ٣٣٩ والمناقب: ٢ / ٤٢٦ والفصول المهمة: ٢٤٨ وبحار الأنوار: ٥٠ / ١ و ٢ و ٧ و ١٣ وعمدة الزائر: ٣٢٤ .
(٣١) المناقب: ٢ / ٤٢٦ ومطالب السؤول: ٢ / ٧٤ والفصول المهمة : ٢٤٨ وبحار الأنوار: ٥٠ / ٧ و ١١ و ١٢ ونور الأبصار: ١٤٧ .
وقال ياقوت في معجم البلدان: ٨ / ٤٠ (مريسة: جزيرة في بلاد النوبة كبيرة يجلب منها الرقيق).
(٣٢) المحبر :٣٠٨.
(٣٣) عقيدة الشيعة: ١٩٧.
(٣٤) الكافي: ١ / ٤٩٢ وتهذيب الطوسي: ٦ / ٩٠ والمناقب: ٢ / ٢٦ ، وبحار الأنوار: ٥٠ / ١ و ٢ و ٧ و ١١ وجواهر الكلام: ٢٠ / ٩٩ وعمدة الزائر: ٣٢٤
(٣٥) الكافي: ١ / ٤٩٢ واثبات الوصية: ١٨١ والارشاد: ٣٣٩ والمناقب: ٢ / ٤٢٦ وبحار الأنوار: ٥٠ / ١ و ٢ و ٧ و ١٣ .
(٣٦) مطالب السؤول: ٢ / ٧٤ وتذكرة الخواص: ٣٧٣ والفصول المهمة: ٢٤٨ وبحار الأنوار: ٥٠ / ١١ و ١٢ ونور الأبصار: ١٤٧.
(٣٧) المناقب: ٢ / ٤٢٦ وبحار الأنوار: ٥٠ / ٧ و ١٣ .
(٣٨) المناقب: ٢ / ٤٢٦ وبحار الأنوار: ٥٠ / ٧ و ١١ وعمدة الزائر: ٣٢٤ .
(٣٩) الكافي: ١ / ٤٩٢ وتهذيب الطوسي: ٦ / ٩٠ والمناقب: ٢ / ٤٢٦ ومطالب السؤول: ٢ / ٧٤ وبحار الأنوار: ٥٠ / ١ و ٢ و ٧ و ١١ و ١٣ وجواهر الكلام: ٢٠ / ٩٩ .
(٤٠) اثبات الوصية: ١٨١.

ونشأ هذا الوليد السعيد في بيت الوحي ومستقر التنـــزيل، حيث كان مختلف الملائكة ومهبط الروح الامين، وحيث أنزل الله تعالى أعظم شرائعه وآخر كتبه على خاتم انبيائه وســيد رســله، وحيث كرَّم ربُّ العزة أهل ذلك البــيت المبــارك أفضل تكريم فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، واختارهم بارادته وانتقائه لإمامة الدين وولاية الأمر، كما نص على ذلك نبـــيه المصطفى الصادع بالحق والمبــلّغ للغيب، وهو الذي لا ينطق عن الهوى ولا يخرج على أمر الله ولا يتعدّى حدود وحي السماء.

إنه ابن الائمة المنتجبين، وسليل الائمة الميامين، وأحد حلقات تلك السلسلة الذهبية المشار اليها بالبنان في تاريخ الاسلام. وقــد دلتنا النصوص الثابتة التي تضمنتها كتبنا السابقة المعنيَّة بسِيَر آبائه الأكارم–وهم الصفوة المختارة من اهل الارض، علمــاً ودينــاً، وزهداً وتقىً، وهدياً وصلاحاً، وســلوكاً وأخلاقــاً– انهم كانوا المؤهَّلين دون غيرهم بــاعتراف القــريب والبــعيد والمؤالف والمخالف، للامامة الحقة وولاية الأمر الشــرعية كما ارادها الله تعالى لعباده المؤمنين، وأن اولئك الذين تقــمصوا الخلافة بالقــوة والقهر أو بالخداع والمكر أوبالاغراء وشراء الذمم لم يكونوا خلفاء الرسول وأئمة الدين وإن زعموا ذلك، لفقــدانهم صفات التأهيل المقررة في مدوّنات الفقه الاسلامي والاحكام السلطانية.

وهكذا فتح محمد بــــن علي(الثاني) عينيه على الدنيا في تلك

الأجواء النقية المطهرة، وتربى وترعرع في تلك الاحضان الدافقــة بالحب والحنان، وحباوسار على ذلك الصعيد المبارك المقدس، ونما وشبَّ في تلك البيئة الصالحة المصفّاة، حتى اصبح ذلك الشــاب المتلألئ الذي تتطلع اليه النفوس قبل العيون، وتتملاه البصائر قبل الابصار، وتنجذب اليه الافئدة قبل الاسماع والانظار.

❁ ❁ ❁

ولما بلغ عمر الزواج والاقتران اختار إحــدى أمهات الاولاد شريكة لحياته.

ورُزق من الذرية ابنَيْه علياً (الامام الهادي) وموسى [41] وابنتيه فاطمة وأُمامة[42]، ونصَّ بعض المؤرخين–ومنهم الشيخ المفيد– انه لم يخلّف ذكراً غير الولدين المتقدمين[43]، وزعم بعضهم ان له ولداً اسمه الحســن[44]، كما قــيل ان له من البــنات ايضاً حــكيمة وخديجة[45].

أما زوجته أم الفضل بنت المأمون فلم يُرزق منها ولداً[46].

❁ ❁ ❁

(٤١) الارشاد: ٣٥١ والمناقــب: ٢ / ٤٢٧ وعمدة الطالب:١٨٨ والفصول المهمة: ٢٥٨ وبحار الأنوار: ٥٠ / ٣ و ٨ و ١٣ ونور الأبــصار: ١٤٩ وينابــيع المودة: ٣٦٥ و ٣٨٥ .

(٤٢) الارشاد: ٣٥١ والمناقب: ٢ / ٤٢٧ والفصول المهمة: ٢٥٨ وبحار الأنوار: ٥٠ / ٣ و ٨ و ١٣ ونور الأبصار: ١٤٩ .

(٤٣) الارشاد: ٣٥١ والصواعق المحرقة: ١٢٣ وبحار الأنوار: ٥٠ / ٣ .

(٤٤) ينابيع المودة: ٣٨٥ .

(٤٥) المناقب: ٢ / ٤٢٧ وبحار الأنوار: ٥٠ / ٨ و ١٣ .

(٤٦) المناقب: ٢ / ٤٢٧ وبحار الأنوار: ٥٠ / ٨ .

وعاصر هذا الفتى اليافع في خلال تلك السنوات المعدودة المحدودة بين ولادته وإمامته، هموم تلك الحقبة الحافلة بألوان الصدمات والمفاجآت، منذ استدعى المأمون أباه الامام الرضا(ع) الى خراسان، ليفرض عليه ولاية عهده من بعده ويلزمه بقبول ذلك على كل حال، ثم ما صاحَبَ هذه الولاية التي اقتضتها ظروف الخليفة الطارئة وأملتها مصالح الحكم الآنيَّة، من مظاهر خدّاعة ومراسيم مصطنعة، أُريد بها ايهام الجماهير بصدق نوايا الخليفة وسلامة دوافعه الى ذلك. ثم المفاجأة بوفاة الامام الرضا(ع) الموقّتة بدقةٍ مع شروع المأمون بالسفر الى العراق وعزمه على استرداد بغداد من سيطرة خصومه، تلك الوفاة التي قيل فيها ما قيل من دسّ السم وتعمد القتل كي يصفو الجو للخليفة ويصبح بامكانه مطالبة ذوي قرباه المتسلطين على بغداد بالعودة الى طاعته بعد زوال سبب تمردهم وجفائهم له بموت ولي العهد العلوي الذي أثارت ولايته حفيظتهم وحفيظة أنصارهم فسارعوا الى تنصيب شيخ المغنّين ابراهيم بن المهدي خليفة لهم.

لقد عاصر الامام الجواد(ع) وهو في مقتبل العمر كلَّ هذه الاحداث المريرة، وواكب تطورها السريعَ الذي أدت سرعته الى فضح النوايا وكشف الاسرار، وأبرزتْ للعيان خطة المأمون التي اراد بها ضمان استقرار العرش والاطمئنان على دوام سلطان بني العباس والقضاء على الخصوم الثائرين هنا وهناك في اطراف العالم

الاسلامي بسحب ورقة دعوتهم الى الرضا من آل محمد(ص)، كما تقدم بيانه بالتفصيل في كتابنا المعنيِّ بسيرة الامام علي بن موسى الرضا(ع).

وكان الله في عون هذا الشاب الطالع وهو يواجه–منذ أيام صباه الاولى– أمواج الحياة وعواصفها الهوجاء، وفتن الاعداء ومؤامراتهم النكراء، وشدائد الزمن وأعاصيره العاتية السود.

الامام محمد بن علي الجواد
بين
إمامته و شهادته

وهناك اتفاق لا يكاد يعتريه الريب على ان محمد بن علي الثاني هو الانسان الفريد الذي اجتمعت فيه يومذاك – بمقتضى النص والصفات والملكات – كل خصائص الامامة الدينية ومؤهلات الولاية الشرعية.

وعلى الرغم من جميع مظاهر الحب والاحترام المتبادل بين الامام وحكام بني العباس ومحاولة توكيد الصلة بتزويجه ابنة المأمون، فقد استُدعي الامام الى بغداد من قبل المعتصم، ثم سرعان ما توفي وهو في ذروة شبابه وعنفوانه في ظروف غامضة تبعث على الشك والاتهام، وتداول بعض المؤرخين القول بأن زوجته قد دست اليه السم وقيل إن ذلك كان بتحريض من الخليفة. وعند الله تجتمع الخصوم.

أصبح محمد بن علي الثاني – ع– منذ وفاة أبيه في سنة ثلاث ومائتين إمام الشريعة للمؤمنين، ونبراس الهداية للمسترشدين، وولي الأمر المتفرد في شؤون الدين.

واختصر الباحث ابن شهراشوب السروي[1] مجموع الشواهد الدالة على حصر الامامة في هذا الرجل دون غيره من معاصريه بثلاث نقاط رئيسة هي:

١ – نصُّ أبيه عليه كما سمع الثقات منه ونقلوا عنه.

٢ – وضوح القول – إسلامياً – بامامة الأئمة الاثنى عشر من أهل البيت بلا زيادة ولا نقصان تطبيقاً للنص النبوي المتواتر.

٣ – وجوب كون الامام أعلم الناس بالشرع وأفقههم بأحكام الدين، وثبوت ذلك للامام الجواد باعتراف خصومه وإقرارهم بعد اختبارهم إياه ومحاورتهم معه.

وعندما نريد فحص هذه الأدلة الثلاثة والخوض في مجمل أبعادها الدينية للتأكد من انطباقها كاملة على الامام الجواد، نجد أولها– وهو نص أبيه عليه – ماثلاً للعيان. وانما صح اعتبار ذلك النص دليلاً من الأدلة– إن لم يكن بمفرده كافياً في مقام البرهنة – لأن هذا الأب كان الامام المسلَّم الامامة باعتراف جميع ذوي

(١) المناقب: ٢ /٤٢٧.

الرأي في زمانه بمن فيهم الخليفة نفسه، كما شرحنا ذلك بالتفصيل في كتابنا المعني بسيرته [2]، ولهذا يكون المعيَّن من قِبَله للامامة هو الامام دون غيره على وجه القطع واليقين.

واذا كان هناك من يدور في خلده أو يتحدث بصريح القول معترضاً على هذه الوراثة، فاننا نحيله على ما هو معروف ومألوف على امتداد القرون والأزمان من اقرار عامة المسلمين بقبول نصّ السابق على اللاحق والاذعان لذلك بلا رفض أو تردد، منذ نص الخليفة أبو بكر على عمر من بعده فجعل ذلك حجة متداولة ومنهجاً ثابتاً لمعظم الخلافات الموروثة التي تلقفتها الأيدي المتعاقبة في العهود الأموية والعباسية والتركية العثمانية، حيث اكتفى السواد الأعظم من المسلمين بذلك التعيين، من دون بحث أو تدقيق في أهلية القائمين به من حيث اجتماع الشروط الشرعية فيهم عدا كونهم المتلقين سلطانهم من أسلافهم الحاكمين المتقدمين.

وعلى كل حال، فحسبنا في موردنا هذا أن نكون عالمين بأن الامام المسلَّم الأهلية في يومه، والمجمع على دينه وعلمه وورعه وتقواه، قد نص على ابنه بالامامة أمام أصحابه وخواصه والمقربين اليه، وأورد المؤرخون والمحدثون بعضاً من تلك الروايات وأسماء عدد من رواتها المشهود لهم بالصدق والدين والصلة الوثقى بالامام الرضا (ع)، والتصريح بسماع ذلك منه مكرراً ومنذ أيام طفولة

(٢) كتابنا الامام علي بن موسى الرضا: ٢٨ - ٤٧ .

ابنه وصباه [3].

وفي رواية الكليني والمفيد بسندهما عن صفوان بن يحيى قال:

(قلت للرضا(ع): قد كنا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر، فكنت تقول: يهب الله لي غلاماً. فقد وهبه الله لك وأقر عيوننا به، فلا أرانا الله يومك، فإن كان كونٌ فالى من؟. فأشار بيده الى أبي جعفر وهو قائم بين يديه، فقلت له : جعلت فداك، هذا ابن ثلاث سنين!، فقال: وما يضره من ذلك، فقد قام عيسى(ع) بالحجة وهو ابن أقل من ثلاث سنين) [4].

وجاء في رواية اخرى عن الخيراني عن أبيه قال:

(كنت واقفاً بين يدي أبي الحسن الرضا(ع)، فقال قائل: ياسيدي إن كان كونٌ فالى من؟، قال: الى أبي جعفر ابني. فكأن القائل استصغر سنَّ أبي جعفر، فقال أبو الحسن(ع): ان الله سبحانه بعث عيسى بن مريم رسولاً نبياً صاحب شريعة مبتدأة في أصغر من السن الذي فيه أبو جعفر) [5].

❁ ❁ ❁

وأما وضوح الايمان إسلامياً بامامة اثني عشر اماماً بلا زيادة أو نقصان فيكفينا فيه ما اتفقت كلمة المسلمين على روايته عن

(٣) يراجع في تفاصيل ذلك: الكافي: ١ /٣٢٠ - ٣٢٣ و٣٨٣ و٣٨٤ وعيون أخبار الرضا: ٣٥١ والارشاد: ٣٤٠ - ٣٤٢ والمناقب: ٢ /٤٢٧-٤٢٩ والفصول المهمة: ٢٤٧-٢٤٨ وبحار الأنوار: ٥٠ /١٨ - ٣٦ .

(٤) الكافي: ١ /٣٢١-٣٢٢ و ٣٨٣ - ٣٨٤ والارشاد: ٣٤٠ .

(٥) اثبات الوصية: ١٨٥ والارشاد: ٣٤٢.

النبي(ص) الناطق بالوحي في الحديث الصحيح المتواتر الذي نصَّ فيه على أن (الأئمة من قريش) وأن عددهم (اثنا عشر) بالحصر والتحديد[٦]، مما لا يمكن انطباقه بأي نحو من الأنحاء على غير أئمة أهل البيت الاثنى عشر(ع)،ولا يلتئم بأي وجه من الوجوه مع تلك الأعداد الكبيرة من مدعي الامامة والخلافة من أمويين وعباسيين وعثمانيين مضافاً الى نصوص نبوية اخرى أخرجها الحفاظ المشهورون والمحدثون المعروفون، ومنها الخاصُّ الذي يحمل أسماء جميع أولئك الاثنى عشر واحداً تلو واحد[٧]،كما ان منها العام الذي يشمل كل الأئمة على الاجمال،كحديث الثقلين الذي أمر فيه النبي(ص) المسلمين بالتمسك بكتاب الله وعترته أهل بيته، وجعل العترة كالكتاب في وجوب الطاعة والاتباع[٨].وكحديث السفينة الذي شبه به النبي(ص)أهل بيته بسفينة نوح، ونصَّ على أن (من ركبها نجا)و(من تعلق بها فاز)و(من تخلف عنها غرق)[٩] .والى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة المشاكلة لما ذكرنا في المؤدى والمضمون.

(٦) ورد هذا الحديث والعدد المعين فيه في كثير من مصادر الحديث والتاريخ، ومنها صحيح البخاري:٩ /٧٨ و١٠١ وصحيح مسلم:٦ /٣ وسنن أبي داود: ٢ /٤٢١ وسنن الترمذي:٤ /٥٠١ ومسند أحمد بن حنبل:٢ /١٢٨ و٣ /١٢٩و١٨٣ و٤ /٤٢١ و٥ /٨٦ -١٠٨ والمعجم الكبير: ٢/ ٢١٤ -٢٨٦ ودلائل النبوة: ٦/ ٥٢٠ . ونص على تواتره ابن حزم في الفصل: ٤ / ٨٩.

(٧) يراجع في ذلك ما أخرجه الحافظ القندوزي الحنفي في ينابيع المودة:٤٤٥ .

(٨) صحيح مسلم: ٧ /١٢٢ وسنن الترمذي: ٥ / ٦٦٢ و٦٦٣ ومسند أحمد: ٣ / ١٤ و١٧ و٢٦ و٥٩ و ٤ / ٣٦٧ و ٥ / ١٨٢ و١٨٩ وحلية الأولياء: ١ / ٣٥٥ والصواعق المحرقة: ١٣٦ .

(٩) تاريخ بغداد: ١٢ / ٩١ وذخائر العقبى: ٢٠.

وأما كونه أعلم الناس بالشريعة وأفقههم بأحكام الدين في عصره فهو الذي أدركه ذلك (الخلق الكثير) الذي قدم من سائر البلدان الى المدينة المنورة بعد وفاة الامام الرضا(ع)، سائلين وباحثين عن الخلف القائم مقامه، فعلموا أنه ابنه محمد الجواد(ع)، فد خلوا عليه مسلّمين معزّين، ووجهوا اليه أسئلتهم واستفساراتهم وربما كان فيها ما هو امتحاني يريدون به اختبار امامته وكفايته، فأجابهم على ذلك كله بما أوضح لهم جلية الأمر وحملهم على التصديق به بقناعة واطمئنان[١٠].

كما ان ذلك هو المستفاد من خلاصة ما وقفنا عليه في الأخبار والشواهد التاريخية مما صرحت به أقوال المتحدثين عنه واعترافات المتحاورين معه، وما أقر به المختبرون له بمحضر الخليفة وفي مجلسه ممن كانوا يريدون الوقيعة به وتوهين شأنه في نظر سلطانهم وعموم الحاضرين ثم اضطروا الى الاذعان لسمو مقامه في العلم والفضل، والى الخضوع للأمر الواقع الذي لم يجدوا مفراً من الاعتراف به.

ولخص ابن طلحة الشافعي جميع تلك الخصائص والمناقب التي امتاز بها الامام الجواد في الفقه والورع ومكارم الأخلاق على الرغم من قصر حياته وصغر سنه فقال :

(وأما مناقبه فما اتسعت حلبات مجالها، ولا امتدت أوقات آجالها، بل قضت عليه الأقدار الالهية بقلة بقائه.... فقل في الدنيا

(١٠)اثبات الوصية:١٨٥-١٨٦ وبحار الأنوار: ٥٠ /٨٥ و٨٩ - ٩٠ .

مقامُه، وعجَّل القدومَ عليه بالزيارة حمامه)، وهو (وإن كان صغير السن فهو كبير القدر رفيع الذكر، ومناقبه –رض– كثيرة)[11].

وقال سبط ابن الجوزي:

(كان على منهاج أبيه في العلم والتقى والزهد والجود)[12].

وقال الداوودي:

(كان جليل القدر عظيم المنـــزلة)[13].

وقال الصفدي:

(كان من سروات آل بيت النبوة)[14].

وأجمل بعض المؤرخين تفاصيل مناقبه فقالوا:

(له حكايات وأخبار كثيرة)[15].

ورووا في الحديث عن عبـــادته: أنه كان (يجيء في كل يوم مع الزوال الى المسجد،فينـــزل في الصحن،ويصير الى رسول الله (ص) ويسلم عليه، ويرجع الى بـــيت فاطمة (ع) فيخلع نعليه ويقـــوم فيصلي– الى اخر النص–)[16].

كما ذكروا أنه قد اشتهر بين الناس بالكرم، وعُرف بســـخاء اليد وكثرة العطاء، (ولهذا سُمي الجواد)[17].

❁ ❁ ❁

(١١) مطالب السؤول :٢ / ٧٤ .
(١٢) تذكرة الخواص: ٣٦٨ .
(١٣) عمدة الطالب: ١٨٨ .
(١٤) الوافي بالوفيات: ٤ /١٠٥
(١٥) وفيات الأعيان: ٣ / ٣١٥ والأئمة الاثنا عشر: ١٠٤ .
(١٦) الكافي: ١ / ٤٩٣ .
(١٧) منهاج السنة: ٢ /١٢٧ والوافي بالوفيات: ٤ /١٠٥.

وادَّعى الولاية الدينيةَ في أيام إمامة أبي جعفر الثاني اثنان مـــن سلاطين بني العبـــاس هما المأمون والمعتصم، فهل كانا أهلاً لذلك الادعاء العريض الذي أحاطا شخصيهما به؟، وهل تجسَّم فيهما – عملاً وسلوكاً– ما قرر فقهاء الأحكام السلطانية وجوب إحرازه في القـــائم بهذه المهمة الخطيرة المقدســـة من صفات وملكات والتزامات؟.

ذلك ما نريد معرفته بقناعة ووثوق في ضوء (رؤوس الأقـــلام) الاتية المعنية بهذين الرجلين الذين اتشحا بـــبرد الامامة والخلافة في تلك الأيام، لنرى مدى أهليتهما واستحقاقهما التربع على عرش ولاية أمر المسلمين.

١ –عبد الله المأمون:

تولى أمر الخلافة بعد انتصاره على أخيه الأمين وقتله في ســـنة ١٩٨ هـــ[18]، وسرعان ما أعلن خلع أخيه القاسم بن الرشيد من ولاية العهد فخلا المركز بعضاً من الوقـــت[19]، ثم اختار له الامام عليَّ بن موســـى الرضا (ع) تحت ضغط الظروف المحيطة بـــه كما تقدم شرحه وبيانه في كتابنا السابق بالتفصيل.

وكان المأمون فيما قيل عنه: (فطناً شديداً كريماً) (مشـــاركاً في علوم كثيرة)[20]، ولكن جلباب الخلافة الاســـلامية الذي ارتداه

(١٨) مروج الذهب: ٣ / ٣٢٨ والفخري: ١٩١ .
(١٩) مروج الذهب:٣ /٣٤٨.
(٢٠)الفخري: ١٩١ ومآثر الانافة:١ /٢٠٩ .

ذلك الفطن المشارك في العلوم لم يردعه عن ارتكاب المحرمات، ولم يمنعه من فعل المحظورات، وكانت قصص مجالس خمره ولهوه مأثورة ومعروفة[٢١]، ولعل أعجبها وأغربها مارواه الطبري في أخبار زواج المأمون ببوران، في شهر رمضان من سنة عشر ومائتين، وقد أفطر الخليفة في احدى تلك الأمسيات (هو والحسن والعباس.... حتى فرغوا من الافطار وغسلوا أيديهم، فدعا المأمون بشراب، فأُتي بجام ذهب فصب فيه وشرب، ومد يده بجام فيه شراب الى الحسن فناوله عنه الحسن لأنه لم يكن يشرب قبل ذلك، فغمز دينارُ بن عبدالله الحسنَ، فقال له الحسن: ياأمير المؤمنين! أشربه بإذنك وأمرك؟!، فقال له المأمون: لولا أمري لم أمدد يدي اليك. فأخذ الجام فشربه!!)[٢٢].

ومات المأمون يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢١٨ هـ[٢٣].

٢ – محمد المعتصم:

أصبح القائمَ بأمر الخلافة اثر وفاة أخيه يوم الخميس لاثنتي عشرة أو ثلاث عشرة بقيت من رجب سنة ٢١٨ هـ[٢٤].

وكانت خلاصة ما قيل فيه: أنه (كان ذا شجاعة) (وبأس وشدة

(٢١) تاريخ الطبري: ٨ / ٥٧٨ و ٦٥٦ والأغاني: ١٠ / ١٣٠ و ١٦١ و ١٦٤ و ٢٤٠.
(٢٢) تاريخ الطبري: ٨ / ٦٠٦ – ٦٠٧.
(٢٣) مروج الذهب: ٣ / ٣٢٨ و ٣٦٥ والفخري: ١٩٥.
(٢٤) تاريخ الطبري: ٨ / ٦٦٧ ومروج الذهب: ٤ / ٣.

في قلبه) ولكنه عريٌ من العلم (يكتب ويقرأ قراءة ضعيفة)، وكان (اذا غضب لا يبالي من قتل ولاما فعل)[٢٥].

وعُرف المعتصم بحب جمع الأتراك وشرائهم من أيدي مواليهم، (فاجتمع له منهم أربعة الاف، فألبسهم أنواع الديباج والمناطق المذهبة.... وأبانهم بالزي عن سائر جنوده.... وكانت الأتراك تؤذي العوام بمدينة السلام بجريها الخيول في الأسواق، ومايناله الضعفاء والصبيان من ذلك، فكان أهل بغداد ربما ثاروا ببعضهم فقتلوه عند صدمه لامرأة أو شيخ كبير أو صبي أو ضرير. فعزم المعتصم على النقلة منهم.... فلم يزل يتنقل.... ويتقرى المواضع، فانتهى الى موضع سامرا)، (فكان ذلك سبب بنائه سُرَّ من رأى وتحوله اليها)[٢٦].

وكان المعتصم فيما ذكر مؤرخوه شارباً للخمر[٢٧]، مشاركاً في مجالس الطرب والغناء[٢٨]، وبقي على هذه الحال حتى مات يوم الخميس لثماني عشرة ليلة مضت أو بقيت من شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين[٢٩].

وعندما تتضح لنا السمات المميزة لكل من المأمون والمعتصم وما قيل فيهما من معاقرة الخمر والملاهي، والعبث بأموال

(٢٥) تاريخ الطبري: ٩ / ١٢١ ومروج الذهب: ٤ / ٣ وتاريخ الخلفاء: ٢٢٢.
(٢٦) مروج الذهب: ٤ / ٩ وتاريخ الخلفاء: ٢٢٣.
(٢٧) تاريخ الطبري: ٩ / ١١٩ والأغاني: ١٠ / ١٣٣ و ٢١٠.
(٢٨) تاريخ الطبري: ٩ / ١٢٢.
(٢٩) تاريخ الطبري: ٩ / ١١٨ ومروج الذهب: ٤ / ١٨.

المسلمين، والقتل عند الغضب بلا مبالاة. وما يقابل ذلك من سمات الامام الجواد المميزة وماورد في علمه وعبادته وتقواه ومجموع صفاته المرتبطة بسمو ذاته- نكون قد انتهينا الى نتيجة قطعية الحكم مسلمة الثبوت، يتجلى فيها الجواب الصريح المقنع على ماكنا نبحث عنه من خلال الأسئلة المتقدمة المعنيَّة بتحديد المؤهل من بين هؤلاء المذكورين للولاية الدينية في ذلك اليوم، ممن اجتمعت فيه الشروط المطلوبة في المرشح لامامة المسلمين. وسنكون جميعاً على اتفاق لا يدخله الريب بأن الامام الجواد هو الانسان الجامع يومذاك لتلك الصفات والشروط، وأن اللذين ادعيا الامامة في زمانه لم يكونا متطابقَيْن مع تعاليم الاسلام في التصرف والعمل والسلوك، ولم يتمثل فيهما الحد الأدنى- بل ما هو أقل من الأدنى- من شروط الامامة ومواصفاتها المجمع عليها، ديناً وفقهاً، وعلماً والتزاماً، وورعاً وفضائل أخلاق.

ونعود الآن – بعد الفراغ من الحديث عن أدلة إمامة محمد بن علي الثاني (ع) والتسليم بكونه الأوحد الذي لم يشاركه غيره من معاصريه فيما كان يتمتع به من مؤهلات الولاية الشرعية وملكاتها الفذة، وما كان يتجمع فيه من وراثة علم النبوة وهدي الرسالة وعطاء الوحي والتنزيل – الى عرضٍ شامل للملامح الرئيسة لعلاقاته بحكام عصره، ووقفةٍ فاحصة على مجمل روابطه السلبية والايجابية بهم خلال مدة إمامته القصيرة التي لم يمهله فيها الأجل ولم يُكتب له طول البقاء.

ولعل أول ما نحسُّ – ونحن نريد استكشاف هذه المسيرة منذ نقطة بدايتها يوم توفي الامام الرضا (ع) وأصبح ابنهُ الامامَ الشرعي بعده – ان المأمون قد سلك مع الامام الجواد سبيل الموادعة والمهادنة والوئام، تداركاً لأحداث الأمس التي اتجهت فيها الاتهامات الى الخليفة بدس السم لولي عهده؛ بعد أن حقق مآربه في تلك التمثيلية الجيدة الحبك والإعداد كما أسلفنا شرحه في كتابنا السابق. ثم زاد المأمون في ذلك الوئام والسلام الى حدِّ التظاهر على رؤوس الاشهاد بتعظيم الامام الجواد وإجلاله؛ واعلان الحب والتقدير له أمام وزرائه وأصحابه وحاشيته، حتى

بلغت الحال في ذلك ما حدَّث به الشيخ المفيد فقال:

((كان المأمون قد شُغِف بـأبي جعفر (ع) لما رأى من فضله مع صغر سنِّه، وبلوغه في العلم والحكمة والأدب وكمال العقل ما لم يساوه فيه أحد من مشايخ أهل الزمان ... وكان متوفراً على إكرامه وتعظيمه وإجلال قدره)) [1].

وقال الحافظ ابن حجر الهيتمي:

ان المأمون لم يزل مشفقاً بـه لما ظهر له ((من فضله وعلمه وكمال عظمته وظهور برهانه مع صغر سنِّه)) [2].

وجاء في عدد من المصادر أن اللقاء الأول بين المأمون والامام قد حدث مصادفةً في أحد أزقة بغداد، حينما مرَّ الخليفة ذات يوم في بعض تلك الأزقة وكان الصبيان يلعبون هناك والامام الجواد واقف معهم، فلما شاهد الصبيان موكب المأمون تركوا لعبهم وفروا باستثناء الجواد الذي بقي واقفاً في مكانه ولم يفر معهم، والى آخر ما ورد في تلك القصة التي زعموا أنها كانت نقطة البداية في منطلق العلاقة بين الرجلين بما أثار الجواد من إعجاب المأمون به وإكباره له [3].

والحقُّ أن في النفس من هذه القصة شيئاً بل أشياء، ولن أستطيع

(١) الارشاد: ٣٤٢.
(٢) الصواعق المحرقة: ١٢٣.
(٣) المناقب: ٢/ ٤٣٣ ومطالب السؤول: ٢/ ٧٤ - ٧٥ والفصول المهمة: ٢٤٨ - ٢٤٩ والصواعق المحرقة: ١٢٣ وبحار الأنوار: ٥٠/ ٩١ - ٩٢ وينابيع المودة: ٣٦٤ - ٣٦٥ ونور الأبصار: ١٤٧.

قبولها وتصديقها وإن رواها غير واحد من المؤرخين، بل تكاد تكون اسطورة بيِّنة الوضع والتلفيق، خصوصاً وقد ورد فيها ان الامام يومذاك كان في سنِّ تسع سنين؛ وقيل في الحادية عشرة من العمر؛ وهو منهمك باللعب مع الصبيان أو بمشاهدة لعبهم في الأزقة !!. ثم تضيف الروايات في تتمة ذلك ان هذه القصة بما اشتملت عليه من كلام وحوار بين الامام والخليفة كانت السبب في عزم المأمون على تزويج الامام الجواد بابنته ام الفضل؛ إكراماً له وتعظيماً لما شهده منه من حسن الجواب وسرعة البديهة.

ولعل الصحيح الراجح في تاريخ حدوث اللقاء الأول بين الرجلين ما رواه المسعودي [4] من أن المأمون لما استقر به المقام ببغداد اثر استتباب أمرها له بعد عودته من خراسان استدعى الامام الجواد (ع) من المدينة المنورة الى عاصمة الخلافة، ((وأنزله بالقرب من داره)) والتقاه وتحدَّث معه، فأُعجب بعلمه وأدبه وسمو خلقه وظهور تقدمه على من سواه.

وحدَّث سبط ابن الجوزي: ان إعجاب المأمون بالامام قد حمله على التفكير بأن يعهد الى ابن الرضا بولاية العهد، ثم ((منعه من ذلك شغبُ بني العباس عليه))؛ وخشيتهُ من الفتنة والنزاع الذي قد يؤدي الى خروج الأمر من يد بني العباس وبني علي كليهما بسبب الاختلاف [5].

❁ ❁ ❁

(٤) اثبات الوصية: ١٨٦.
(٥) تذكرة الخواص: ٣٦٥ - ٣٦٦.

ومهما يكن من أمر، فالثابت المؤكد أن المأمون بعد استدعائه الامام الجواد (ع) الى بغداد وتكرار الملاقاة بينهما؛عزم على إعادة تشييد ما انهار من جسور الروابط بينه وبين أهل البيت (ع)، وتوكيد العلاقة بين الطرفين بالتنفيذ العملي لفكرة زواج الامام بابنته المعروفة بكنيتها ام الفضل، فبلغ الخبر أسماع العباسيين ((فغلظ ذلك عليهم واستكبروه منه، وخافوا أن ينتهي الأمر معه الى ما انتهى مع الرضا(ع). فخاضوا في ذلك، واجتمع منهم أهل بيته الأدنون منه فقالوا:

((ننشدك الله يا أمير المؤمنين أن تقيم على هذا الأمر الذي قد عزمتَ عليه من تزويج ابن الرضا، فانّا نخاف أن تُخرج به عنّا أمراً قد ملّكناه الله؛ وتنزع منّا عزاً قد ألبسناه، وقد عرفتَ ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً، وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم. وقد كنا في وهلة من عملك مع الرضا ما عملتَ، حتى كفانا الله المهم من ذلك، فالله الله أن تردّنا الى غَمٍّ قد انحسر عنا، واصرف رأيك عن ابن الرضا، واعدل الى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره)).

((فقال لهم المأمون: أما ما بينكم وبين آل أبي طالب فأنتم السبب فيه،ولو أنصفتم القوم لكانوا أَوْلى بكم. وأما ما كان يفعله مَنْ قبلي بهم فقد كان قاطعاً للرحم، وأعوذ بالله من ذلك، ووالله ما ندمتُ على ما كان مني من استخلاف الرضا، ولقد سألتُه أن يقوم

بالأمر وأنزعه عن نفسي فأبى، وكان أمر الله قدراً مقدوراً. وأما أبو جعفر محمد بن علي فقد اخترتُه لتبريزه على كافة أهل الفضل في العلم والفضل، مع صغر سنّه والاعجوبة فيه بذلك، وأنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفتُه منه فيعلموا ان الرأي ما رأيتُ فيه)).

((فقالوا: ان هذا الفتى وإن راقك منه هديُه فانه صبيٌّ لا معرفة له ولا فقه، فأمهله ليتأدب ويتفقه في الدين، ثم اصنع ما تراه بعد ذلك)).

((فقال لهم: ويحكم !، اني أعْرَفُ بهذا الفتى منكم، وان هذا من أهل بيتٍ عِلمُهم من الله وموادّه وإلهامه ... فان شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يتبين لكم به ما وصفتُ من حاله)).

((قالوا: قد رضينا لك يا أمير المؤمنين ولانفسنا بامتحانه، فخَلّ بيننا وبينه لننصب من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة، فإن أصاب في الجواب عنه لم يكن لنا اعتراض في أمره، وظهر للخاصة والعامة سديدُ رأي أمير المؤمنين فيه، وإن عجز عن ذلك فقد كفينا الخطب في معناه)).

((فقال لهم المأمون : شأنكم وذاك متى أردتم)).

((فخرجوا من عنده، واجتمع رأيهم على مسألة يحيى بن أكثم–وهو يومئذ قاضي الزمان – على ان يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها، ووعدوه بأموال نفيسة على ذلك، وعادوا الى المأمون فسألوه أن يختار لهم يوماً للاجتماع، فأجابهم الى ذلك)).

((فاجتمعوا في اليوم الذي اتفقوا عليه، وحضر معهم يحيى بن أكثم،فأمر المأمون أن يفرش لأبي جعفر دست يجعل له فيه مِسْوَرَتان، ففُعِل ذلك، وخرج أبو جعفر ... وجلس يحيى بن أكثم بين يديه، وقام الناس في مراتبهم، والمأمون جالس في دست متصل بدست أبي جعفر – ع–)).

((فقال يحيى بن أكثم للمأمون: أتأذن لي يا أمير المؤمنين أن أسأل ابا جعفر. فقال له المأمون: استأذنُهُ في ذلك)).

((فأقبل عليه يحيى بن أكثم فقال: أتأذن لي – جُعِلتُ فداك– في مسألة ؟)).

((قال له أبو جعفر – ع– : سل إن شئت)).

((قال يحيى: ما تقول في مُحْرِم قَتَل صَيْداً ؟))

((فقال له أبو جعفر – ع–: قتله في حِلّ أو حرم، عالماً كان المحرم أم جاهلاً، قتله عمداً أو خطأ، حراً كان المحرم أم عبداً، صغيراً كان أو كبيراً، مبتدئاً بالقتل أم معيداً، من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها، من صغار الصيد كان أم من كباره، مصرّاً على ما فعل أو نادماً، في الليل كان قتله للصيد أم في النهار، محرماً كان بالعمرة إذ قتله أم بالحج ؟)).

((فتحيَّر يحيى بن أكثم، وبان في وجهه العجز والانقطاع، ولجلج حتى عرف جماعة أهل المجلس أمره)).

((فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في

الرأي. ثم نظر الى أهل بيته وقال لهم: أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟)).

((ثم أقبل على ابي جعفر (ع) فقال له ... اخطب لنفسك... فقد رضيتك لنفسي، وأنا مزوجك ام الفضل ابنتي وإن رغم قوم لذلك)).

((فقال أبو جعفر – ع– : الحمد لله إقراراً بنعمته، ولا اله الا الله اخلاصاً لوحدانيته، وصلى الله على محمد سيد بريته والأصفياء من عترته. أما بعد:

فقد كان من فضل الله على الانام أنْ أغناهم بالحلال عن الحرام، فقال سبحانه: (وأَنْكِحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم). ثم ان محمد بن علي بن موسى يخطب أُمّ الفضل بنت عبدالله المأمون، وقد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة بنت محمد– ص– خمسمائة درهم جياداً، فهل زوّجتَه يا أمير المؤمنين بها على هذا الصداق المذكور ؟)).

((قال المأمون: نعم؛ قد زوجتك يا أبا جعفر امّ الفضل ابنتي على الصداق المذكور، فهل قبلتَ النكاح ؟)).

((فقال أبو جعفر – ع–: قد قبلتُ ذلك ورضيتُ به)) (*).

(*) وروى الشيخ الصدوق نص خطبة الزواج هذه بألفاظ اخرى جاء فيها:
(لما تزوج أبو جعفر محمد بن علي الرضا– ع– ابنة المأمون، خطب لنفسه فقال: الحمد لله منعم النعم برحمته، والهادي الى شكره بمنه، وصلى الله على محمد خير خلقه، الذي جمع فيه من الفضل ما فرقه في الرسل قبله، وجعل تراثه الى من خصه بخلافته، وسلم

((فأمر المأمون أن يقعد الناس على مراتبهم من الخاصة والعامة))،وجاء الخدم((يجرُّون سفينة مصنوعة من الفضة مشدودة بالحبال من الابريسم على عجل، مملوءة من الغالية. فأمر المأمون أن تخضب لحى الخاصة من تلك الغالية، ثم مُدَّت الى دار العامة فطيِّبوا منها، ووُضِعت الموائد فأكل الناس، وخرجت الجوائز الى كل قوم على قدرهم)).

((فلما تفرق الناس وبقي من الخاصة مَنْ بقي، قال المأمون لأبي جعفر (ع):

إن رأيتَ أن تذكر الفقه فيما فصَّلتَه من وجوه قتل المحرم الصيد لنعلمه ونستفيده ؟)).

((فقال أبو جعفر – ع– : ان المحرم اذا قتل صيداً في الحل وكان الصيد من ذوات الطير وكان من كبارها فعليه شاة. فإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً. فاذا قتل فرخاً في الحل فعليه حَمَلٌ قد فُطِم من اللبن، فاذا قتله في الحرم فعليه الحَمَل وقيمة الفرخ. وإن كان من الوحش وكان حمارَ وحش فعليه بقرة، وان كان نعامة فعليه بَدَنة، وإن كان ظبياً فعليه شاة. فإن قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة. واذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدي فيه وكان إحرامه بالحج نحره بمنى، وإن كان

تسليماً. وهذا أمير المؤمنين زوجني ابنته على ما فرض الله عز وجل للمسلمات على المؤمنين من امساك بمعروف أو تسريح باحسان، وبذلت لها من الصداق ما بذله رسول الله(ص) لأزواجه وهو أثنتا عشرة أوقية ونش (أي نصف)، وعلي تمام الخمسمائة، وقد نحلتها من مالي مائة ألف. زوجني ياأمير المؤمنين؟، قال: بلى. قال :قبلتُ ورضيتُ). من لا يحضره الفقيه:٣ /٢٥٢.

إحرامه بالعمرة نحره بمكة. وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء، وفي العمد له المأثم وهو موضوع عنه في الخطأ. والكفارة على الحرِّ في نفسه؛ وعلى السيد في عبده، والصغير لا كفارة عليه، وهي على الكبير واجبة. والنادم يسقط بندمه عنه عقابُ الآخرة)).

((فقال له المأمون: أحسنت يا أبا جعفر؛ أحسن الله اليك. فإن رأيتَ أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك ؟)).

((فقال أبو جعفر – ع– ليحيى: أسألك ؟)).

((قال: ذلك اليك جعلت فداك، فإن عرفتُ جواب ما تسألني عنه و الا استفدتُه منك)).

((فقال له أبو جعفر – ع–: أخبرني عن رجلٍ نظر الى امرأة في أول النهار فكان نظره اليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار حلَّتْ له، فلما زالت الشمس حرمت عليه، فلما كان وقت العصر حلت له، فلما غربت الشمس حرمت عليه، فلما دخل عليه وقت عشاء الآخرة حلت له، فلما كان انتصاف الليل حرمت عليه، فلما طلع الفجر حلت له.ما حال هذه المرأة وبماذا حلت له وحرمت عليه؟)).

((فقال له يحيى بن أكثم: والله ما أهتدي الى جواب هذا السؤال ولا أعرف الوجه فيه، فإن رأيتَ أن تفيدناه)).

((فقال أبو جعفر – ع–: هذه أمَةٌ لرجلٍ من الناس، نظر اليها أجنبي في أول النهار فكان نظره اليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلَّت له، فلما كان عند الظهر أعتقها فحرمت

عليه، فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه، فلما كان وقت العشاء الآخرة كفّر عن الظهار فحلت له، فلما كان في نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه، فلما كان عند الفجر راجعها فحلت له)).

((فأقبل المأمون على من حضره من أهل بيته فقال لهم: هل فيكم أحد يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب؟ أو يعرف القول فيما تقدم من السؤال ؟)).

((قالوا: لا والله، إن امير المؤمنين أعلَمُ بما رأى)).

((فقال لهم: ويحكم !، ان أهل هذا البيت خُصُّوا من الخلق بما تروْن من الفضل، وان صغر السن فيهم لا يمنعهم من الكمال..)).

((قالوا: صدقتَ يا أمير المؤمنين. ثم نهض القوم)).

((فلما كان من الغد حضر الناس وحضر أبو جعفر – ع–، وصار القوّاد والحجّاب والخاصة والعامة لتهنئة المأمون وأبي جعفر – ع–، فأُخْرِجت ثلاثة أطباق من الفضة فيها بنادق مسك وزعفران معجون، في أجواف تلك البنادق رقاع مكتوبة بأموال جزيلة وعطايا سنية واقطاعات، فأمر المأمون بنثرها على القوم في خاصته، فكان كل من وقع في يده بندقة أخرج الرقعة التي فيها والتمسه فأُطلق له، ووُضِعت البدر فنُثِر ما فيها على القواد وغيرهم. وانصرف الناس وهم أغنياء بالجوائز والعطايا، وتقدم

المأمون بالصدقة على كافة المساكين)) [٦].

وهكذا تم الزواج وتحققت المصاهرة ونفّذ المأمون ما كان قد عزم عليه من ذلك، ونُقل عنه في بيان منشأ إصراره على هذا الزواج قوله: ((اني أحببتُ أن أكون جداً لمرءٍ ولَده رسولُ الله – ص– وعليُّ بن أبي طالب – ع–)) [٧].

ثم غادر الامام بزوجته بغداد – بعد أن أقام فيها بعض الوقت كما ترشدنا الشواهد التاريخية [٨] – ليسكن معها المدينة المنورة حيث مسقط رأسه وشامخ بيته، وحدَّث الطبري ان خروجه من بغداد كان في أيام الحج فقصد مكة المكرمة حاجاً ثم أتى منزله بالمدينة [٩]، وقيل ان المأمون كان ((ينفذ اليه في السنة ألف ألف درهم)) [١٠].

ويظهر من بعض الروايات ان هذه السيدة العباسية المدلّلة لم تكن سعيدة بحياتها الجديدة في دار الزوجية، وهي المعتادة من قبل على ابهة الملك وترف العيش، وروى بعض المؤرخين: انها ((كتبت الى أبيها من المدينة تشكو أبا جعفر – ع– وتقول:

(٦) النص بطوله وتفاصيله في اثبات الوصية: ١٨٧ –١٨٩ وتحف العقول: ٣٣٥ – ٣٣٨ والارشاد: ٣٤٢ – ٣٤٧ والمناقب: ٢ / ٤٢٧ –٤٢٨ والاحتجاج: ٢ / ٤٦٩ –٤٧٧ .

ويراجع أيضاً في محاورة الامام ويحيى بن أكثم: تذكرة الخواص: ٣٦٨ –٣٧٣ والفصول المهمة: ٢٤٩ –٢٥٢ والصواعق المحرقة: ١٢٣ وينابيع المودة: ٣٦٤ –٣٦٥ .

(٧) تاريخ اليعقوبي: ٣/ ١٨٢ .

(٨) الوافي بالوفيات: ٤ / ١٠٥ – ١٠٦ والأئمة الاثنا عشر: ١٠٣ – ١٠٤ .

(٩) تاريخ الطبري: ٨ /٦٢٣.

(١٠) منهاج السنة: ٢ /١٢٧ والعبر: ١ / ٣٠٠ والنجوم الزاهرة: ٢ / ٢٣١ ومراة الجنان: ٢ / ٨٠ وشذرات الذهب: ٢ /٤٨ .

انه يتسرّى عليَّ ويغيرني. فكتب اليها المأمون: يا بنيَّة؛ إنّا لم نزوجك أبا جعفر لنحرِّم عليه حلالاً، فلا تعاودي لذكر ما ذكرت بعدها)) [11].

❁ ❁ ❁

وامتدت هذه العلاقة الوادعة الطيبة بين الامام والمأمون طيلة حياة الأخير، واتسمت بالاحترام الكبير والتقدير المتبادل والاجلال المناسب لسمو مقام الامام وعلو قدره، بل قيل: ان المأمون كان ((يؤثره على ولده وجماعة أهل بيته)) [12].

ويقول المستشرق دونالدسن: ان من الملاحظ ((انه لم يتعرض أحدٌ خاصةً الى الامام التقي، فلم يوقف أو يزعج طول مدة حكم المأمون)) [13].

ثم توفي المأمون في سنة ٢١٨هـ، وآلت الخلافة من بعده الى أخيه المعتصم، فأظهر في بدء الأمر الاهتمام بالامام وأخباره، و((جعل يتفقد أحواله))، وأمر وزيره الزيات -كما روى السروي- أن ينفذ اليه الامامَ وزوجَه ام الفضل، ففعل الوزير ما

(١١) الارشاد:٣٤٧ والمناقب:٢ /٤٢٩ والفصول المهمة:٢٥٢ والصواعق المحرقة: ١٢٣ ونور الأبصار:١٤٨ وينابيع المودة: ٣٦٥ .

(١٢) الارشاد : ٣٤٧ .

(١٣) عقيدة الشيعة:٢٠١ - ٢٠٢ .

كان ينبغي من الإعداد وتهيئة الوسائل [14]. وخرج الامام الى مكة المكرمة حاجاً ومعه ام الفضل، ثم انصرف من هناك الى بغداد [15].

وروى بعض الرواة: ان الامام - لما هَمَّ بالخروج الى الحج ومن ثَمَّ الى العراق - كان ابنه ابو الحسن عليٌّ صغيراً، ((فخلَّفه في المدينة، وسلَّم اليه المواريث والسلاح، ونصَّ عليه بمشهد ثقاته وأصحابه)) [16]. وكأن نفسه قد حدثته بأنه لن يعود الى المدينة من هذه الرحلة.

ويستفاد من بعض النصوص التاريخية ان عدداً غير قليل من أصحاب الامام قد رافقوه في سفر الحج هذا، وان مائدة كانت تمدُّ بأمره في كل يوم لإطعام الحجيج، وان أحد الحجاج- وكان سجستانياً- قد استغل هذه الفرصة فقال للامام وهو معه على المائدة:

((ان والينا - جُعِلت فداك- رجل يتولاكم ... وعليَّ في ديوانه خراج، فإن رأيتَ أن تكتب اليه بالاحسان إليَّ))، فقال الامام: ((لا أعرفه))، فقال السجستاني: ((انه على ما قلتُ من محبيكم أهل البيت، وكتابك ينفعني عنده))، فأخذ الامام القرطاس وكتب:

((بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فان موصل كتابي هذا ذكر عنك مذهباً جميلاً، وان مالك من عملك ما أحسنتَ فيه، فأَحْسِن

(١٤) المناقب:٢ / ٤٣٠ .

(١٥) اثبات الوصية: ١٩٠ .

(١٦) بحار الأنوار: ٥٠ /١٦ .

الى اخوانك، واعلم ان الله عز وجل سائلك)).

قال الراوي:((فلما وردتُ سجستان سبق الخبر الى الحسين بن عبدالله النيسابوري –وهو الوالي–، فاستقبلني على فرسخين من المدينة، فدفعتُ اليه الكتاب فقبّله ووضعه على عينيه،وقال لي: حاجتك ؟،فقلت:خراجٌ عليَّ في ديوانك.قال:فأمر بطرحه عني))[17].

وعلى كل حال، فقد شدَّ الامام رحاله بعد فراغه من الحج متوجهاً الى بغداد، وكان قدومه اليها لليلتين بقيتا من المحرم سنة ٢٢٠هـ[18].

❁ ❁ ❁

وما إن بلغ الامام الجواد –ع– بغداد وشاع خبر قدومه؛ حتى كان –كما هو المنتظر– موضع اهتمام رجال الفقه والحديث، ومطمح أنظار أهل الايمان والدين، ومفزع طلاب العلم والمعرفة في أحكام القرآن ومسائل الشريعة، حتى جاء في احدى الروايات– ونسوقها مثالاً على اللجوء الى الامام في المعضلات الفقهية – :ان سارقاً حضر عند المعتصم ذات يوم فأقر على نفسه بالسرقة، وسأل الخليفة أن يطهّره باقامة الحدِّ عليه، فجمع المعتصم فقهاء البلاط

(١٧) بحار الأنوار: ٥٠ /٨٦ .

(١٨) الارشاد: ٣٤٨ و٣٥١ والمناقب: ٢ / ٤٢٧ والفصول المهمة: ٢٥٧ والصواعق المحرقة: ١٢٣ وبحار الأنوار: ٥٠ /٨ ونور الأبصار: ١٤٩ وينابيع المودة: ٣٦٥ .

لهذا الغرض في مجلسه وأحضر محمد بن علي معهم، وسألهم عن القطع في أي موضع يجب أن يكون ؟.

فأجاب ابن أبي دواد :((من الكرسوع)).

فقال له الخليفة: ((وما الحجة على ذلك ؟)).

فقال القاضي المذكور: ((لأن اليد هي الأصابع والكفُّ الى الكرسوع، لقول الله في التيمم:(فامسحوا بوجوهكم وأيديكم). واتفق معه في ذلك قوم من الحاضرين، (وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق.... لأن الله لما قال:(وأيديكم الى المرافق)في الغَسل دل ذلك على أن حدَّ اليد هو المرفق).

(فالتفت الخليفة الى محمد بن علي– ع– فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟).

(فقال:قد تكلم القوم فيه ياأمير المؤمنين).

(قال: دعني مما تكلموا به، أي شيء عندك؟).

(قال:إنهم أخطأوا فيه السنة، فان القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع،فيترك الكف).

قال الخليفة : (وما الحجةفي ذلك؟).

قال الامام:(قول رسول الله (ص):السجود على سبعة أعضاء:الوجه واليدين والركبتين والرجلين، فاذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها.وقال الله تبارك وتعالى:(وأن المساجد لله) يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يُسْجَد

عليها(فلا تدعوا مع الله أحدا)،وما كان لله لم يقطع).

(فأعجب المعتصم ذلك، وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف)[19].

وهكذا كانت أيام مكث الامام الجواد (ع) في بغداد حافلة بالفقه والعطاء، زاخرة بالتثقيف والتعليم، وهي تشهد تصاعد مراجعة الناس له وانثيالهم عليه بالسؤال والمحاورة واقتباس العلم والمعرفة، حتى ثقل ذلك على الخليفة وحاشيته وذوي قرباه، ولكن الحفاظ على الاحترام والمجاملة ومظاهر الحفاوة كان مانعاً من اعلان هذا الحقد الكامن وابراز ذلك الحسد المكتوم.

ثم سرعان ما توفي الامام ولم يمر عام على قدومه بغداد من دون أن يُعْلَم أنه قد مرض أو أصابه طارئ من طوارئ الحياة، وحدث المسعودي: أن جعفر بن المأمون قدحرض أم الفضل ـ وكانت اخته لامه وأبيه– على أن تدس السم اليه ففعلت ما طلب منها[20]، وروى عدد من المؤرخين: أن المعتصم هو الذي أمر أم الفضل بسمه،[21] واختار اخرون كلمة (يقال)أو(قيل) في وفاته مسموماً[22]، وجاء في احدى الروايات:أن المعتصم أشار(على ابنة المأمون زوجته بأن تسمه، لأنه وقف على انحرافها عن أبي

(١٩) بحار الانوار: ٥٠/ ٥–٦.
(٢٠) اثبات الوصية: ١٩٠.
(٢١) مروج الذهب: ٤/ ٨ والمناقب: ٢/ ٤٢٧ وبحار الانوار: ٥٠/ ٨و١٠و١٣ وعمدة الزائر: ٣٢٤.
(٢٢) الارشاد: ٣٥١ والفصول المهمة: ٢٥٨ والصواعق المحرقة: ١٢٣ وبحار الانوار: ٥٠/ ٣و١٣ ونورالابصار: ١٤٩ وينابيع المودة: ٣٦٥.

جعفر(ع) وشدة غيرتها عليه لتفضيله أمّ أبي الحسن ابنه عليها لأنه لم يرزق منها ولداً، فأجابته الى ذلك وجعلت سماً في عنب رازقي ووضعته بين يديه، فلما أكل منه ندمت وجعلت تبكي)[23].

ومهما يكن من أمر، وأياً ما كان سبب الوفاة، فقد اخترم الأجل المحتوم عمر الامام الجواد(ع) ، وارتفعت روحه المباركة الى السماء لتحل في أعلى عليين، مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وكان ذلك باتفاق المؤرخين يوم الثلاثاء[24]، وإن لم يتفقوا على تحديد تاريخ ذلك اليوم، فذهب بعضهم– وهو القول الأشهر– الى وفاته في آخر ذي القعدة الحرام[25]، وقيل: انه توفي في الحادي عشر من شهر ذي القعدة[26]، وقيل:الخامس أو السادس من ذي الحجة[27].

غير أنهم يكادون يجمعون على وقوع ذلك في

(٢٣) بحار الانوار: ٥٠/ ١٧.
(٢٤) الكافي: ١/ ٤٩٧ واثبات الوصية: ١٩٠ وتاريخ بغداد: ٣/ ٥٥ ووفيات الأعيان: ٣/ ٣١٥ والفصول المهمة: ٢٥٨ وبحار الانوار: ٥٠/ ٣و١١و١٢و١٥ وجواهر الكلام: ٢٠/ ٩٩ وعمدة الزائر: ٣٢٤.
(٢٥) الكافي: ١/ ٤٩٢ والارشاد: ٣٤٨ و٣٥١ وتهذيب الطوسي: ٦/ ٩٠ والمناقب: ٢/ ٤٢٦ والفصول المهمة: ٢٥٧ والصواعق المحرقة: ١٢٣ وبحار الانوار: ٥٠/ ١ و٢و٧و١٣و١٥ وجواهر الكلام: ٢٠/ ٩٩ ونور الابصار: ١٤٩ وعمدة الزائر: ٣٢٤.
(٢٦) بحار الانوار: ٥٠/ ١٥ وجواهر الكلام: ٢٠/ ٩٩ وعمدة الزائر: ٣٢٤.
(٢٧) الكافي: ١/ ٤٩٧ واثبات الوصية: ١٩٠ ومروج الذهب: ٤/ ٧ وتاريخ بغداد: ٣/ ٥٥والمناقب:٢/ ٤٢٦ ووفيات الاعيان: ٣/ ٣١٥ وتذكرة الخواص: ٣٧٣ ومطالب السؤول: ٢/ ٧٥ والفصول المهمة: ٢٥٨ وبحار الانوار: ٥٠/ ١و٢و٧و١١و١٢و١٣ وعمدة الزائر: ٣٢٤.

سنة ٢٢٠ هـ ،[٢٨]، وإن شذ بعضهم فذكر أنها سنة ٢١٩ هـ[٢٩] أو في أيام خلافة الواثق العباسي[٣٠].

وشيعت بغداد- بكل طبقاتها- جثمان الامام الطاهر الى مقابر قريش فدفن الى جنب جده الامام موسى بن جعفر(ع)[٣١] حيث مثواهما الزاهر ومرقدهما المقدس الذي أصبح محجة لزيارة الناس من كل حدب وصوب، ومعلماً بارزاً يزهى حتى اليوم بصرحه الشامخ وقبتيه الذهبيتين وبنائه الحاوي لبدائع الفن والريازة والزركشة، وروائع ضروب التطعيم الفضي والزجاجي البالغ أسمى مراتب الجمال المدهش والحسن الأخاذ[٣٢].

ولم يفت المؤرخين والرحالة زيارة هذا المشهد ووصفه جيلاً بعد جيل وعصراً بعد عصر[٣٣]، وشارك الشعراء في هذا المضمار بمدائحهم البليغة وقصائدهم العامرة، وكان منهم الشاعر الموصلي

(٢٨) الكافي: ١/ ٤٩٢و٤٩٧ واثبات الوصية: ١٩٠ والارشاد: ٣٣٩و٣٥١ وتهذيب الطوسي: ٦/ ٩٠وتاريخ بغداد: ٣/ ٥٥ والمناقب: ٢/ ٤٢٦ ووفيات الأعيان: ٣/ ٣١٥ وكفاية الطالب: ٣١١ وكامل ابن الاثير: ٥/ ٢٣٧ ومنهاج السنة:٢/ ١٢٧ والعبر: ١/ ٣٠٠ وتاريخ أبي الفدا: ٢/ ٣٣وتذكرة الخواص: ٣٦٨ ومطالب السؤول: ٢/ ٧٥ والفصول المهمة: ٢٥٨ والوافي بالوفيات: ٤/ ١٠٥ ومرآة الجنان: ٢/ ٨١ والصواعق المحرقة: ١٢٣ وشذرات الذهب: ٢/ ٤٨ وبحار الانوار: ٥٠/ ١و٢و٧و١١و١٢و١٣و١٥ وتاريخ الخميس: ٢/ ٣٣٦ وجواهر الكلام: ٢٠/ ٩٩ وينابيع المودة: ٣٦٥ و٣٨٥ ونور الابصار: ١٤٩ وعمدة الزائر: ٣٢٤.

(٢٩) مروج الذهب: ٤/ ٧ ووفيات الاعيان: ٣/ ٣١٥ ومنهاج السنة: ٢/ ١٢٧ والنجوم الزاهرة: ٢/ ٢٣١ والأئمة الاثنا عشر: ١٠٤ وبحار الانوار: ٥٠/ ١٢.

(٣٠) مروج الذهب: ٤/ ٣٠ والمناقب: ٢/ ٤٢٧ وبحار الانوار: ٥٠/ ١٣.

(٣١) نص على ذلك جميع من ترجم للامام الجواد(ع).

(٣٢) و(٣٣) يراجع في تفصيل ذلك كتابنا (تاريخ المشهد الكاظمي) وهو مطبوع.

عبد الغفار الأخرس الذي صحب هدية السلطان العثماني للمشهد وأنشد قصيدة في الاحتفال الذي أقيم بهذه المناسبة قال فيها:

يا إمام الهدى ويا صفوة الله
ويا من هدى هداه العبادا
يا ابن بنت الرسول يا ابن علي
حي هذا النادي وهذا المنادى

الى أن قال:

طالبات موسى بن جعفر فيه
وكذا القدوة الامام الجوادا
أنتم علة الوجود وفيكم
قد عرفنا التكوين والايجادا

وختمها بقوله:

قد وفدنا آل النبي عليكم
زودونا من رفدكم إرفادا
بسواد الذنوب جئنا لنمحو
ببياض الغفران هذا السوادا[٣٤]

ووصف الشاعر الموصلي عبد الباقي العمري الفاروقي ما في المشهد من المرايا والقناديل والمعلّقات فقال في بعض ما قال:

(٣٤) ديوان عبد الغفار الأخرس: ٧٩-٨١.

حـــــــضرة الكاظمين منهاالمرايا
قد حكتْ قـــلبَ صبٍّ أهل الطفوفِ
صبـــــغتها يدُ التجلي بـــــكف
كبرت عن تشبـــيهها بـــــالكفوف
وروت عن غديـــر خـــمٍّ صفـــاء
فتـــراءت لطـــــرفيَ المطـــــروفِ
من قـــناديل عســـــجد زيَّنوها
بـــــــصفوف تلوح اثر صفوفِ
روضـــة للصـــدور فيهـــا ورود
بـــأكف الألحاظ ذات قـــــطوف
كلما زرتُها أقـــــــول لعيني:
هذه كعبـــــــة الجلال فطوفي[٣٥]

كذلك وصف الشاعر السيد حيدر الحلي المشـــهد المقـــدس بقصيدة طويلة غراء جاء فيها قوله مخاطباً صحن المشهد بمناسبـــة اعادة بنائه وتعميره:

لك فخر المحارة انفلقـــــت عن
درتين استقـــلّتا الشـــمس نورا
وهما قبـــتان ليســـــت لكلّ
منهما قبـــة الســـــماء نظيرا

(٣٥) ديوان عبد الباقي العمري: ١١٦-١١٧.

حـــول كلّ منارتان من التبر
يجلّي ســـــــناهما الديجورا
كبرت كل قبـــة بهما شـــــأ
ناً فأبـــدتْ عليهما التكبـــيرا

الى أن قال:

يالكَ الله ماأجلّك صحـــناً
وكفى بـــالجلال فيك خفيرا
حـــرم آمنٌ بـــه أودع الله
تعالى حجابـــه المســـتورا[٣٦]

(٣٦) ديوان السيد حيدر الحلي: ٣٥-٤١.

تُرَاثُ الأِمَامَةِ

حينما روى المسلمون في كتب الحديث المعتمدة لديهم عن عمر ابن الخطاب وأبي سعيد الخدري وحذيفة بن اليمان وغيرهم: أن النبي(ص) قام يوماً خطيباً في أصحابه (فلم يدع شيئاً يكون الى قيام الساعة الا أخبرهم به)، أو أنه (حدثهم بما هو كائن الى أن تقوم الساعة)، وأن هذا الحديث- كما نصَّ رواته - قد (حفظه مَنْ حفظه ونسيه من نسيه)[1]، فان هذه الروايات لم تكن في مجموعها كذباً واختلاقاً، ولا يصح وصف مضامينها بالوضع والتلفيق، وربما كان في طليعة ما يؤكد صحتها ماهو ثابت تاريخياً من التزام علي (ع) بتسجيل أخبار الغيب التي سمعها من النبي(ص) خلال امتداد عصر النبوة، وتدوين ذلك كله في (جفر) احتفظ به عنده- والجفر: جِلْد ولد الماعزة - إذ لم يكن لديهم يومذاك ما يكتبون فيه غير الجلود. وكان علي (ع) يخبر بتلك المغيبات كما تلقاها ووعاها من صاحب الرسالة الناطق عن الوحي، ويقول في الردّ على من يتوهم فيه علم الغيب: بأنه (ليس هو بعلم غيب، وانما تعلُّم من ذي علم، علمه الله نبيه فعلمنيه)[2].

---

(١) يراجع في هذه الأحاديث: صحيح البخاري: ٤ / ١٢٩ وسنن أبي داود: ٢ / ٤١٠ وسنن الترمذي: ٤ / ٤٨٣ ومسند أحمد: ٤ / ٢٥٤ و ٥ / ٣٨٥ و ٣٨٩ و ٤٠١.

(٢) نهج البلاغة: ١ / ٢٤٥ - ٢٤٦.

كذلك أودع علي (ع) في جفر اخر جوامع (علم مايحتاج الناس اليه) من شؤون (الحلال والحرام حتى أرش الخدش)[3] مما تعلمه من رسول الله (ص) أيضاً واقتبسه من أحاديثه وأقواله، وهو الذي اشتهر بعد ذلك في لسان المؤرخين والمحدثين باسم (الجامعة)[4] تمييزاً بينه وبين الجفر المتقدم.

وروى حاجي خليفة[5] عن الشيخ كمال الدين محمد بن طلحة النصيبيني الشافعي المتوفى سنة ٦٥٢ هـ: أن الأئمة من أولاد علي كانوا يعرفون الجفر رواية عن جدهم أمير المؤمنين (ع)، ويخبرون عما جاء فيه من أنباء الغيب وأحكام الدين، وهم يتوارثون ذلك كله ويحتفظون به منهلاً ينهلون منه، ومرجعاً يعودون اليه في معرفة مسائل الفقه وعلوم الشريعة.

وفي ضوء ذلك كله وجلاء دلالته ومعناه، لن يخالجنا أي إحساس بعجب أواستغراب عندما نقف على المأثور عن الامام الجواد وعلى ما قيل في سعة علمه وغزارة فضله، وعندما نلمس تدفق ذلك العطاء الفكري وامتداد آفاقه المترامية، على الرغم من صغرسن الامام بالقياس الى الحسابات المتداولة في أعمار الناس وما يمكن أن يتعلموه في مثل تلك المدة الزمنية من العمر.

وكان المنبع الأكبر لعلم الامام الجواد(ع) بعد هذه المواريث

(٣) الكافي: ١ / ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤١ والارشاد: ٢٩٢ والمناقب: ٢ /٣٤٧.

(٤) يراجع في تفاصيل(الجفر)و(الجامعة): كتابنا الامام جعفربن محمد الصادق: ١٥٥ – ١٦٩.

(٥) كشف الظنون: ١ /٥٩١ – ٥٩٢.

المشار اليها من مدونات آبائه الغر الميامين، وقد رووها مسندة عن جدهم أمير المؤمنين(ع)[6] ما تعلمه ورواه مباشرة عن أبيه الامام الرضا (ع)[7] خلال تلك السنوات القليلة التي عاشها في ظلاله،فاجتمع له ببركة هذين المنبعَيْن المقدَّسَيْن ما تسامى به شأناً ومقاماً وتعالى شرفاً ورفعة، بما ضم من لباب علم النبوة وأسرار حقائق التنزيل، وما انتهى اليه بواسطة تلك السلسلة المباركة الزاهية عن جده الأعظم (ص) مما كان يحدِّث به عن لسان الوحي وبلاغ السماء وحكم الله في أمور العباد ومصالح البلاد.

ومن هنا كان تراث الامامة المأثور عن الامام الجواد(ع) بهذه الدرجة العليا من التقدير بل التقديس،وكان لزاماً علينا– انسجاماً مع تلك القدسية وسمو القدر– أن نتطلع اليه متعلمين مسترشدين، وأن نستجلي مراميه متأملين فاحصين، وأن نستعرض بوعي واستيعاب مجمل مطالبه الرئيسة وخطوطه البارزة العريضة، فيما أجاب به السائلين، وناقش به المحاورين، وأوضح به الابهام لطالبي المعرفة من جمهور المسلمين.

وقد شملت تلك المأثورات الماثلة في مصادر السلف عدة جوانب من شؤون علم الكلام والتوحيد، وتفسير القران والحديث، ومسائل الفقه والأحكام، وقواعد الأخلاق والسلوك، وتلك هي الموضوعات الكبرى في الفكر الديني والثقافة

(٦)وفيات الأعيان: ٣ /٣١٥ ومراة الجنان: ٢ / ٨١ والأئمة الاثنا عشر: ١٠٣.

(٧) تاريخ بغداد: ٣ /٥٤.

الاسلامية. كما شملت تلك المأثورات أيضاً توجيهاته القيمة وارشاداته الحكيمة في التنبيه على أهمية العلم ونفاسة قيمته في ذاته أولاً، وفي أثره الفاعل في حسن أداء العمل وانجازه على أفضل وجوهه ثانياً، وكذلك التنبيه على أهمية العقل النير لكونه المجسّد لكمال الانسان والباني لانسانيته الحقة، بما يصقل الروح ويهذب النفس وينزه الجوارح من الخنى والسوء والفحشاء.

ويكفينا شاهداً على مضامين تلك التوجيهات والارشادات ما رواه ابن الصباغ المالكي عن الامام الجواد من نصوص ذهبية عُنيت ببيان هذه الجوانب التي يجب أن يتنافس فيها المتنافسون، فقال عليه السلام في جملة ما قال:

(الدين عز، والعلم كنز، والصمت نور، وغاية الزهد الورع، ولا هدم للدين مثل البدع).

(العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم).

(أربع خصال تعين المرء على العمل: الصحة والغنى والعلم والتوفيق).

(الجمال في اللسان، والكمال في العقل)[٨].

❁ ❁ ❁

ونعود بعد هذا التمهيد الموجز الى استعراض زبدة المطالب الفكرية والثقافية التي عُني الامام بايضاحها لسائليه، وهي متعددة

(٨) الفصول المهمة: ٢٥٥ - ٢٥٦.

المجالات والمقاصد كما يعلم المطلعون، ويأتي في مقدمتها ما رُوي عنه في مسائل علم الكلام وما يتعلق بذلك من شؤون معرفة الله وتوحيده ومن تحديد معاني الألفاظ المستعملة في التعبير عن أسماء الباري عز وجل وصفاته، ونسوق في المثال على هذا ما رواه أبو هاشم الجعفري فقال:

(كنتُ عند أبي جعفر الثاني (ع) فسأله رجل فقال: أخبرني عن الرب تبارك وتعالى وله أسماء وصفات في كتابه: اسماؤه وصفاته هي هو؟).

(فقال أبو جعفر (ع): ان لهذا الكلام وجهين، إن كنت تقول: هي هو - أي انه ذو عدد وكثرة - فتعالى الله عن ذلك. وإن كنت تقول: هذه الصفات والأسماء لم تزل فان (لم تزل) محتمل معنيين، فإن قلتَ: لم تزل عنده في علمه وهو مستحقها فنعم، وإن كنت تقول: لم يزل تصويرها وهجاؤها وتقطيع حروفها فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره، بل كان الله ولا خلق، ثم خلقها وسيلة بينه وبين خلقه يتضرعون بها اليه ويعبدونه، وهي ذكره، وكان الله ولا ذكر.

والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم يزل، والأسماء والصفات مخلوقات، والمعاني والمعنيُّ بها هو الله الذي لا يليق به الاختلاف ولا الائتلاف، وانما يختلف ويأتلف المتجزئ، فلا يقال: الله مؤتلف، ولا: الله قليل ولا كثير، ولكنه القديم في ذاته، لأن ما

سوى الواحد متجزئ، والله واحد لا متجزئ ولا متوهَّم بالقلة والكثرة، وكل متجزئ أو متوهم بالقلة والكثرة فهو مخلوق دال على خالق له، فقولك: ان الله قدير خبَّرت أنه لا يعجزه شيء، فنفيتَ بالكلمة العجز وجعلت العجز سواه، وكذلك قولك: عالِم، انما نفيتَ بالكلمة الجهل وجعلت الجهل سواه، فاذا أفنى الله الأشياء أفنى الصورة والهجاء والتقطيع، ولايزال من لم يزل عالماً).

(فقال الرجل: فكيف سمينا ربنا سميعاً؟).

(فقال: لأنه لا يخفى عليه مايُدرَك بالأسماع، ولم نصفه بالسمع المعقول في الرأس. وكذلك سميناه بصيراً لأنه لا يخفى عليه ما يدرك بالأبصار من لون أو شخص أو غير ذلك، ولم نصفه ببصر لحظ العين. وكذلك سميناه لطيفاً لعلمه بالشيء اللطيف مثل اليعوضة وأخفى، وموضع النشوء منها والعقل والشهوة للسفاد والحدب على نسلها وإقام بعضها على بعض ونقلها الطعام والشراب الى أولادها في الجبال والمفاوز والأودية والقفار، فعلمنا أن خالقها لطيف بلا كيف، وانما الكيفية للمخلوق المكيَّف. وكذلك سمينا ربنا قوياً لا بقوة البطش المعروف من المخلوق، ولو كانت قوته قوة البطش المعروف من المخلوق لوقع التشبيه ولاحتمل الزيادة، وما احتمل الزيادة احتمل النقصان، وما كان ناقصاً كان غير قديم وما كان غير قديم كان عاجزاً.

فربنا تبارك وتعالى لا شبه له ولا ضد ولا ند ولا كيف ولا نهاية

ولا تبصار بصر، ومحرَّم على القلوب أن تمثّله، وعلى الأوهام أن تحدّه، وعلى الضمائر أن تكوّنه. جل وعز عن أداة خلقه وسمات بريته، وتعالى عن ذلك علواً كبيرا)[٩].

هكذا تحدث الامام عن حقائق أسماء الله وصفاته، وهكذا أوضح دقائق ذلك بأوفى شرح وبيان، وجاء في بعض الروايات في هذا السياق المرتبط بأسماء الله تعالى وصفاته: أن أحد أصحابه سأله يوماً عن معنى الواحد فقال:(إجماع الألسن عليه بالوحدانية، كقوله تعالى: (ولئن سألتَهم من خلقهم ليقولنَّ الله)[١٠].

وسأله داود بن القاسم ذات يوم عن معنى الصمد، فقال: يعني (المصمود اليه في القليل والكثير) أي المقصود[١١].

وسأله آخر فقال: هل يجوز أن يقال لله تعالى: انه شيء؟، فقال:(نعم، ويخرجه عن حد التعطيل وحد التشبيه)[١٢]، ويعني بالتعطيل انكار وجوده أو الشك فيه، وبالتشبيه مشاركة بعض الخلق في صفاته.

❁ ❁ ❁

وعندما ننتقل من موضوع التوحيد والصفات الالهية الى الاسلام والقران والسنة النبوية الشريفة وما أُثر عن الامام الجواد(ع) في ذلك كله، فاننا نوجز المأثور عنه في هذا الخصوص بما

(٩)الحديث بتمامه في الكافي:١ / ١١٦- ١١٧ وبعضه في الاحتجاج:٢ /٤٦٧ - ٤٦٨.
(١٠) الكافي:١ /١١٨.
(١١) الكافي:١ / ١٢٣.
(١٢) الكافي: ١ /:٨٢.

لفت الأنظار اليه من قدسية الاسلام وكرامة القران فيما رواه عبد العظيم الحسني من حديث أبي جعفر الثاني(ع) عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين (ع) قال: قال رسول الله (ص):

(ان الله خلق الاسلام فجعل له عرصةً وجعل له نوراً وجعل له حصناً وجعل له ناصراً: فأما عرصته فالقران، وأما نوره فالحكمة، وأما حصنه فالمعروف، وأما أنصاره فأنا وأهل بيتي- الى اخر الحديث-)[13]

كما نوجز حديثه عن السنة النبوية- وهي المصدر الأكبر لتعاليم الدين بعد القران المجيد- بما أوضح به الحد الفاصل والميزان العادل، لمعرفة صدق الحديث المنسوب وكذبه، في هدى ما رواه عن آبائه عن جده رسول الله (ص) في حجة الوداع حيث قال: (قد كثرت علي الكذابة وستكثر بعدي، فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار[14]. فاذا اتاكم الحديث عني فاعرضوه على كتاب الله عز وجل وسنتي، فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به).

وكان الامام بذلك يجيب يحيى بن أكثم إذ سأله:(ما تقول ياابن رسول الله في الخبر الذي رُوي: أنه نزل جبرئيل على رسول الله (ص) وقال: يا محمد، ان الله عز وجل يقرؤك السلام ويقول لك:

(١٣)الكافي:٢ /٤٦ .

(١٤) يراجع في هذا الحديث: صحيح البخاري: ١/ ٣٧ و٢ /٩٧ وسنن أبي داود: ٢ /٢٨٧ وسنن ابن ماجه: ١ /١٣ -١٤ والترمذي:٥ /٣٥ -٣٦ ومسند أحمد:١/ ٤٧ و٨٣ و١٢٣ و١٥٠ .

سل أبابكر هل هو عني راض فاني عنه راض. فاستشهد الامام في جوابه بالحديث النبوي السالف الذكر ثم قال:(ليس يوافق هذا الخبرُ كتابَ الله، قال الله تعالى:(ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد)، فالله عز وجل خفي عليه رضا أبي بكرمن سخطه حتى سأل عن مكنون سرِّه!، هذا مستحيل في القول).

وقال- ع- في جواب ابن أكثم لما سأله عما رُوي في فضائل الخليفتين الأولين من كونهما سيدَيْ كهول أهل الجنة:(هذا الخبر محال أيضاً، لأن أهل الجنة كلهم يكونون شباناً ولا يكون فيهم كهل، وهذا الخبر وضعه بنو امية لمضادة الخبر الذي قاله رسول الله(ص) في الحسن والحسين (ع) بأنهما سيدا شباب أهل الجنة).

وكذلك كان جوابه- عليه السلام- لابن أكثم أيضاً لما سأله عما يروى أن النبي(ص) قال: ما احتبس عني الوحي قط الا ظننته قد نزل على آل الخطاب. فقال- ع- :(وهذا محال أيضاً، لأنه لا يجوز أن يشك النبي في نبوته، قال الله تعالى:(الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس)، فكيف يمكن أن تنتقل النبوة ممن اصطفاه الله تعالى)[15].

❁ ❁ ❁

أما تراثه في الفقه والأحكام الشرعية فغير قليل، وقد شمل أبواباً

(١٥) الاحتجاج: ٢ / ٤٧٧ - ٤٨٠ . ويراجع في نصوص تلك المزاعم المنسوبة الى النبي (ص): تاريخ بغداد: ٢ /١٠٦ و٧ / ١١٨ و١٠ / ١٩٢ والجزء الخامس من كتاب الغدير وخصوصاً ص ٣١٢ و ٣١٦ منه.

مختلفة من مسائل الفقه وفروعه مما لا مجال لعرضه في هذا المختصر، ويستطيع الراغب في الوقوف على ذلك مراجعة كتب الحديث وفي مقدمتها الكتب الأربعة المعروفة: الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني المتوفى سنة ٣٢٩ هـ وكتاب من لا يحضره الفقيه لعلي بن الحسين الصدوق المتوفى سنة ٣٨١ هـ وكتابا التهذيب والاستبصار لمحمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ، وقد ضمت هذه المصادر الأربعة الرئيسة - وكذلك الكتب الاخرى المعنية بالأحاديث الفقهية- شيئاً وافراً من المرويات عن الامام الجواد(ع) في شؤون العبادات والمعاملات والايقاعات والعقود.

وكانت تلك الروايات في معظمها مسندة سماعاً من فم الامام نفسه، وإن ورد فيها ما سئل عنه الامام مكاتبة فأجاب عليه كتابة أيضاً[١٦].

❁ ❁ ❁

ثم أثرت عن الامام (ع) من قبل ذلك وبعده تعليمات وتوجيهات في ميادين صقل الروح وتهذيب النفس وتعميق العلاقة بين العبد وربه بالتسليم له والتوكل عليه والاستعانة به في التماس الحاجات وحل المشكلات وتسهيل المعضلات، وجاء في جملة تلك الارشادات والتوجيهات أدعية وأذكار حثّ الامامُ المؤمنين على ترادها كل صباح ومساء، لقضاء الحوائج وتيسير عقد الأمور،

(١٦) يراجع في ذلك كتاب الكافي:٣ /٢٠٥ و٢١٨ و٢٦٣ و٢٨٢ و ٣٩٩ و ٤٠٧ -٤٠٨ و٥٥٩.

تنفيذاً لقوله تعالى:(قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم). وكان من أمثلة ذلك ما رواه محمد بن الفضيل قال:

(كتبتُ الى أبي جعفر الثاني (ع) أسأله أن يعلمني دعاء، فكتب إليّ:تقول اذا أصبحتَ وأمسيتَ:(الله الله ربي الرحمن الرحيم لا اشرك به شيئاً)، وإن زدت على ذلك فهو خير، ثم تدعو بما بدالك في حاجتك، فهو لكل شيء باذن الله تعالى)[١٧].

وكان من أمثلة ذلك أيضاً ما حدث به محمد بن الفرج قال:

(كتب إليّ أبو جعفر بن الرضا- ع- بهذا الدعاء وعلّمنيه وقال: من قاله في دبر صلاة الفجر لم يلتمس حاجة الا تيسرت له وكفاه الله ما أهمه:

(بسم الله وبالله، وصلى الله على محمد وآله، وأفوّض أمري الى الله إن الله بصير بالعباد، فوقاه الله سيئات ما مكروا، لااله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين، فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين، حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمةٍ من الله وفضل لم يمسسهم سوء، ما شاء الله، لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، - الى اخر الدعاء-).

وأضاف الامام الى ماتقدم مخاطباً محمد بن الفرج:

(اذا انصرفتَ من صلاة مكتوبة فقل:(رضيتُ بالله رباً، وبمحمد نبياً،وبالاسلام ديناً، وبالقران كتاباً، وبفلان وفلان أئمة-الى اخر

(١٧) الكافي:٢ /٥٣٤.

الدعاء–).

ثم علّمه الامام(ع) ما كان يقوله النبي (ص) اذا فرغ من صلاته: (اللهم اغفرلي ما قـدمتُ وأخّرتُ وما أسـرت وما أعلنتُ، وإسرافي على نفسي، وما أنت أعلم به مني... اللهم اني اسـألك خشـيتك في السـر والعلانية، وكلمة الحق في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى– الى آخر الدعاء–)[18].

(١٨) يراجع في النصوص الكاملة لهذه الأدعية كتاب الكافي: ٢ / ٥٤٧ – ٥٤٩ .

هذه مقتطفات موجزة ومقتبسـات ملتقـطة من تراث الامام الجواد (ع) الذي كان ومازال منهلاً سـائغاً روياً من مناهل الاستنبـاط والمعرفة، بـل مصدراً أساسـياً من مصادر الاجتهاد والتشريع في الاسلام، بحكم اتصاله– بواسـطة الأئمة المطهرين– بوحي الله المنـزل وسنة نبيه المرسل، وقد رجع اليه وأفاد منه الطلاب الدارسون والفقهاء الراغبون في الوقوف على اللبـاب الديني الأصيل، قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل.

وكلمة حق يجب أن تقال:

ان الفضل الأكبر في وقـوف الأجيال التالية لعصر الامام على تراثه العظيم وما حمل من فكر وعطاء، انما يعود الى أولئك الـرواة عنه والمشافهين له الذين سمعوا منه ذلك فحدّثوا به وأبلغوه الى من جاء بعدهم، فأنعموا علينا بـالافادة منه والاطلاع عليه والاهتداء بأنواره الدالة على سواء السبـيل، ونخص منهم بـالذكر اولئك النوابغ الواعين الذين بادروا الى تدوين تلك الأمالي والأحاديث في كتب ومؤلفات تحفظها من الضياع وتحميها من النسـيان، وكان فيهم من بوّب تلك الروايات بحسب مطالبها وموضوعاتها، وفيهم من جمع ما سمع في مجموعاتٍ أُطلق عليها في فهارس ذلك العصـر

اسمُ (النوادر) أو (كتاب مسائل).

ونورد فيما يأتي- رعاية لما التزمنا بـــه من الاختصار والايجاز- جريدة تحوي أسماء الرواة عن الامام الجواد(ع) ومَن نصَّ المؤرخون على مَنْ كان منهم من أصحـــــاب الكتب والمدونات، كما نورد أيضاً ما ذكر المترجمون لهم من أسماء مؤلفاتهم ومصنفاتهم، معلنـــين الاعتراف لهم باليد البيضاء والاحسان المشكور على جميع طلاب العلم والشـــريعة المســـتفيدين من ذلك كله على كر الســـنين، ومسجلين أسمى مشاعر التقدير والاكبار لهم بحكم كونهم بعضاً من تلك الطلائع المتقـــــــدمة في الجمع والتدوين في التاريخ العربي الاسلامي، ومن جملة ذلك الرعيل السباق من رواد هذا الميدان في أوائل المائة الهجرية الثالثة:(*)

(*) عُني الباحث المرحوم الشيخ عناية الله علي القهبائي المتوفى في القرن الحادي عشـــر الهجري، بجمع كتاب رجال الكشي(من مؤلفي النصف الأول من القرن الرابـــع) وكتاب رجال ابن الغضائري(من مؤلفي النصف الأول من القرن الخامس) وكتاب رجال النجاشي المتوفى سنة ٤٥٠ هـــ وكتاب الرجال وكتاب الفهرست للطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـــ، فأورد هذه الكتب بـــألفاظها مع تمييز نص كل واحـــد منها منفرداً مستقلاً عن غيره، وسمى هذا المجموع (مجمع الرجال) وهو مطبوع في ســـبعة أجزاء.

وقـــد رجعت الى هذا الكتاب- بما تضمن من نصوص تلك الكتب- في ضبـــط اسماء المؤلفين الرواة عن الامام الجواد (ع) وفي تبيين أسماء كتبهم ورمزنا له بـــــ (مجمع)، كما رجعتُ في ذلك الى فهرست ابن النديم أيضاً.

١ ــ ابراهيم بن داود اليعقوبي.

٢ ــ ابراهيم بن شيبة الأصبهاني، وأصله من قاسان.

٣ ــ ابراهيم بن محمد الهمداني.

٤ ــ ابراهيم بن مهرويه، من أهل جسر بابل.

٥ ــ ابراهيم بن مهزيار.

٦ ــ أحكم بن بشار المروزي.

٧ ــ احمد بن اسحاق بن عبد الله بن سعد بن مالك بن الأحـــوص الاشعري، القمي، أبو علي، له مؤلفات ، منها:

أ ــ كتاب علل الصلاة ــ كبير ــ.

ب ــ كتاب علل الصوم ــ كبير ــ. (مجمع : ١ / ٩٦)

٨ ــ أحمد بن حماد المروزي.

٩ ــ أحمد بن عبد الله الكوفي.

١٠ ــ أحمد بن محمد بن عمرو بن أبي نصر البزنطي، أبـــو جعفر، وقيل : أبـــو علي، وهو من الرواة عن الامام الرضا (ع) أيضاً، وذكرنا مؤلفاته هناك.

١١ ــ أحمد بن محمد بن بندار.

١٢ ــ أحمد بن محمد بن خالد بن عبد الرحمن بـــن محمد بـــن علي البرقـــي، الكوفي، أبـــوجعفر، المتوفى ســـــنة ٢٧٤ هـــ أو ٢٨٠هـــ، صنف كتباً كثيرة، منها:

أ ــ كتاب الإبلاغ.

ب _ كتاب الأجناس والحيوان.
ج _ كتاب الاحتجاج.
د _ كتاب أحكام الأنبياء والرسل.
هـ _ كتاب أخبار الأصم.
و _ كتاب اختلاف الحديث.
ز _ كتاب أخص الأعمال.
ح _ كتاب الاخوان.
ط _ كتاب أدب المعاشرة.
ي _ كتاب أدب النفس.
ك _ كتاب الأركان.
ل _ كتاب الأزاهير.
م _ كتاب الأشكال والقرائن.
ن _ كتاب أفاضل الأعمال.
س _ كتاب الأفانين.
ع _ كتاب الامتحان.
ف _ كتاب الأمثال.
ص _ كتاب الامم.
ق _ كتاب الأوائل.
ر _ كتاب الأوامر والزواجر.
ش _ كتاب بدء خلق ابليس والجن.

ت _ كتاب البلدان والمساحة.
ث _ كتاب بنات النبي _ ص _ وأزواجه.
خ _ كتاب التاريخ.
ذ _ كتاب التأويل.
ض _ كتاب التبصرة.
ظ _ كتاب التبيان.
غ _ كتاب التجمل.
ب أ _ كتاب التحذير.
ج أ _ كتاب التخويف.
د أ _ كتاب التراحم والتعاطف.
هـ أ _ كتاب الترغيب.
و أ _ كتاب التسلية.
ز أ _ كتاب التعازي.
ح أ _ كتاب التعويض.
ط أ _ كتاب التفسير.
ي أ _ كتاب تفسير الأحاديث وأحكامه.
ك أ _ كتاب التهاني.
ل أ _ كتاب التهذيب.
م أ _ كتاب الثواب.
ن أ _ كتاب ثواب القرآن.

س أ _ كتاب جداول الحكمة.
ع أ _ كتاب الجمل.
ف أ _ كتاب الحبوة .
ص أ _ كتاب الحقائق.
ق أ _ كتاب الحياة _ وهو كتاب النور والرحمة _ .
ر أ _ كتاب الحيل.
ش أ _ كتاب الخصائص.
ت أ _ كتاب خلق السماء والأرض.
ث أ _ كتاب الدعاء.
خ أ _ كتاب الدعابة والمزاح.
ذ أ _ كتاب الدواجن والرواجن .
ض أ _ كتاب ذكر الكعبة.
ظ أ _ كتاب الرؤيا.
غ أ _ كتاب الرفاهية .
ب ب _ كتاب الرواية .
ج ب _ كتاب الرياضة .
د ب _ كتاب الزجر والفال .
هـ ب _ كتاب الزهد والمواعظ.
و ب _ كتاب الزي.
ز ب _ كتاب الزينة .

ح ب _ كتاب السفر.
ط ب _ كتاب الشعر والشعراء.
ي ب _ كتاب الشواهد من كتاب الله عز وجل.
ك ب _ كتاب الشوم .
ل ب _ كتاب الصفوة .
م ب _ كتاب صوم الأيام.
ن ب _ كتاب الصيانة .
س ب _ كتاب الطب .
ع ب _ كتاب طبقات الرجال.
ف ب _ كتاب الطيب .
ص ب _ كتاب الطيرة .
ق ب _ كتاب العجائب.
ر ب _ كتاب العقاب.
ش ب _ كتاب العقل .
ت ب _ كتاب العقوبات.
ث ب _ كتاب العلل.
خ ب _ كتاب العيافة والقيافة.
ذ ب _ كتاب العين .
ض ب _ كتاب الغرائب.
ظ ب _ كتاب الفراسة .

غ ب ـ كتاب الفروق.

ب ج ـ كتاب فضل القران.

ج ج ـ كتاب الفهم.

د ج ـ كتاب القريب.

هـ ج ـ كتاب ما خاطب الله به خلقه.

و ج ـ كتاب المآثر والأنساب.

ز ج ـ كتاب الماكل.

ح ج ـ كتاب الماء.

ط ج ـ كتاب المحاسن.

ي ج ـ كتاب المحبوبات والمكروهات.

ك ج ـ كتاب مذام الأخلاق.

ل ج ـ كتاب مذام الأفعال.

م ج ـ كتاب المراشد.

ن ج ـ كتاب المرافق.

س ج ـ كتاب المساجد الأربعة.

ع ج ـ كتاب المستحبات.

ف ج ـ كتاب مصابيح الظُّلم.

ص ج ـ كتاب المصالح.

ق ج ـ كتاب المعاريض.

ر ج ـ كتاب المعاني والتحريف.

ش ج ـ كتاب المعيشة.

ت ج ـ كتاب مغازي النبي (ص).

ث ج ـ كتاب مكارم الأخلاق.

خ ج ـ كتاب المكاسب.

ذ ج ـ كتاب المنافع.

ض ج ـ كتاب المواهب والحظوظ.

ظ ج ـ كتاب النجابة.

غ ج ـ كتاب النجوم.

ب د ـ كتاب النحو.

ج د ـ كتاب النساء.

د د ـ كتاب النوادر.

هـ د ـ كتاب الهداية. (الفهرست: ٢٧٧ ومجمع : ١ / ١٣٩ ـ ١٤٣)

١٣ ـ أحمد بن محمد بن عبيد الله الأشعري : له كتاب نوادر. (مجمع : ١ / ١٥١).

١٤ ـ أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري : من الرواة عن الامام الرضا (ع) أيضاً، وذكرنا مؤلفاته في كتابنا الامام علي بن موسى الرضا (ع).

١٥ ـ ادريس بن عبد الله بن سعد الأشعري القمي ، ابو القاسم : له كتاب مسائل. (مجمع : ١ / ١٧٨)

١٦ ـ إسحاق بن محمد بن ابراهيم الحضيني.
١٧ ـ أيوب بن نوح بن دراج الكوفي.
١٨ ـ جعفر الجوهري.
١٩ ـ جعفر بن داود اليعقوبي.
٢٠ ـ جعفر بن محمد الهاشمي الصيرفي.
٢١ ـ جعفر بن محمد بن يونس الأحول.
٢٢ ـ جعفر بن يحيى بن سعد الأحول.
٢٣ ـ الحسن بن راشد البغدادي، أبو علي.
٢٤ ـ الحسن بن سعيد بن حماد بن سعيد الأهوازي.
٢٥ ـ الحسن بن عباس بن حراش (أو حريش) الرازي : له كتاب ثواب قراءة إنا أنزلناه. (مجمع : ٢ / ١١٨ ـ ١١٩)
٢٦ ـ الحسن بن علي بن أبي عثمان، أبو محمد، الكوفي، الملقب بالسجادة. له كتاب نوادر. (مجمع : ٢ / ١٢٤ ـ ١٢٥)
٢٧ ـ الحسن بن يسار (أوبشار).
٢٨ ـ الحسين بن أسد.
٢٩ ـ الحسين بن داود اليعقوبي.
٣٠ ـ الحسين بن سعيد بن حماد بن سعيد بن مهران الأهوازي، وأصله من الكوفة، وله مؤلفات كثيرة، وهو من أصحاب الرضا (ع) أيضاً، وتقدم ذكر مؤلفاته في كتابنا: الامام علي ابن موسى الرضا (ع).

٣١ ـ الحسين بن سهل بن نوح.
٣٢ ـ الحسين بن علي القمي.
٣٣ ـ الحسين بن محمد القمي.
٣٤ ـ الحسين بن مسلم.
٣٥ ـ حفص الجوهري.
٣٦ ـ خلف بن سلمة البصري.
٣٧ ـ داود بن القاسم الجعفري، أبو هاشم، من ولد جعفر بن أبي طالب : له كتاب. (مجمع : ٢ / ٢٨٩)
٣٨ ـ داود بن مهزيار، أخو علي.
٣٩ ـ زكريا بن آدم بن عبد الله بن سعد الأشعري القمي، له من المؤلفات:أ ـ كتاب. ب ـ مسائل.(مجمع : ٣ / ٥٦ ـ ٥٧)
٤٠ ـ سعد بن سعد بن الأحوص بن سعد بن مالك الأشعري القمي، له.
أ ـ كتاب.
ب ـ مسائل. (مجمع :٣ / ١٠٢ ـ ١٠٣)
٤١ ـ سهل بن زياد الادمي الرازي، أبو سعيد، له من المؤلفات :
أ ـ كتاب التوحيد.
ب ـ كتاب النوادر.(الفهرست:٢٧٩ومجمع:٣ / ١٨٠)
٤٢ ـ شادان بن الخليل النيسابوري، والد الفضل بن شادان.
٤٣ ـ صالح بن أبي حماد، أبو الخير.

٤٤ – صالح بن محمد الهمداني.

٤٥ – صفوان بن يحيى البجلي، أبو محمد، بياع السابـــري، المتوفى سنة ٢١٠ هـــ، وكان من الرواة عن الامام الرضا (ع) أيضاً، وذكرنا مؤلفاته في كتابنا: الامام علي بن موسى الرضا (ع).

٤٦ – العباس بن عمر الهمداني.

٤٧ – عبد الجبار بن المبارك النهاوندي:

له كتاب. (مجمع: ٤ / ٦٦)

٤٨ – عبد الرحمن بن أبي نجران الكوفي، له مؤلفات متعددة، منها:

أ – كتاب البيع والشراء.

ب – كتاب القضايا.

ج – كتاب المطعم والمشرب.

د – كتاب النوادر.

هـــ كتاب يوم وليلة. (مجمع: ٤ / ٧٣ – ٧٤)

٤٩ – عبد الله بن الصلت، القمي، أبو طالب:

له كتاب التفسير. (مجمع: ٤ / ٧ – ٨)

٥٠ – عبد الله بن محمد الحضيني (أو الحصيني):

له كتاب مسائل. (مجمع: ٤ / ٤٨)

٥١ – عبد الله بن محمد بن حماد الرازي.

٥٢ – عبد الله بن محمد بن سهل بن داود.

٥٣ – علي بن أسباط بن سالم المقري الكوفي، أبو الحســـن، له من

المؤلفات:

أ – كتاب التفسير.

ب – كتاب الدلائل.

ج – كتاب المزار.

د – كتاب النوادر. (مجمع: ٤ / ١٦٥ – ١٦٦)

٥٤ – علي بن بلال البغدادي.

٥٥ – علي بن حديد بن حكيم.

٥٦ – علي بن حسان القصير الواسطي، المعمَّر، أبـــو الحســـين، المعروف بالمُنمس. له كتاب. (مجمع: ٤ / ١٧٧)

٥٧ – علي بن الحكم الكوفي:

له كتاب. (مجمع: ٤ / ١٩٢)

٥٨ – علي بن عبد الله القمي.

٥٩ – علي بن عبد الله المدائني.

٦٠ – علي بن محمد بن علي العلوي الحسني.

٦١ – علي بن محمد القلانسي.

٦٢ – علي بن مهزيار الأهوازي، وهو من أصحـــاب الرضا (ع) أيضاً، وتقدم ذكر مؤلفاته في كتابنا: الامام علي بـــن موســـى الرضا (ع).

٦٣ – علي بن ميسر (أو ميسرة).

٦٤ – علي بن نصر.

٦٥ – علي بن يحيى ، أبو الحسين.

٦٦_ القاسم بن الحسين البزنطي، صاحب أيوب بن نوح.

٦٧ – محمد بن ابراهيم الحضيني.

٦٨ – محمد بن أبي يزيد (أو : أبي زيد) الرازي، وأصله من قم.

٦٩ – محمد بن اسماعيل بن بزيع، وهو من الرواة عن الامام الرضا(ع)، وتقدم ذكر كتابه في كتابنا: الامام علي بن موسى الرضا (ع).

٧٠ – محمد بن الحسن بن شمون البصري المعمَّر، أبو جعفر، المتوفى سنة ٢٥٨ هـ ، وله من المؤلفات:

أ– كتاب السنن والآداب .

ب– كتاب المعرفة .

ج– كتاب مكارم الأخلاق .

د– كتاب نوادر . (مجمع : ٥/ ١٨٧–١٨٨)

٧١– محمد بن الحسن بن محبوب .

٧٢– محمد بن الحسن الواسطي .

٧٣– محمد بن الحسين بن أبي الخطاب الزيات الكوفي ، أبو جعفر ، المتوفى سنة ٢٦٢ هـ ، له من المؤلفات :

أ – كتاب الامامة.

ب– كتاب التوحيد.

ج– كتاب الرد على أهل القدر.

د– كتاب اللؤلؤة.

هـ –كتاب المعرفة والبداء.

و– كتاب النوادر.

ز– كتاب وصايا الأئمة (ع). (مجمع: ٥ / ١٩٦)

٧٤ – محمد بن حمزة.

٧٥ – محمد بن خالد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي البرقي، أبو عبد الله، وقيل: أبو الحسن، وكان من اصحاب الامام الرضا (ع) والرواة عنه ، وله مؤلفات كثيرة ذكرنا أسماءها في كتابنا: الامام علي بن موسى الرضا (ع).

٧٦– محمد بن سالم بن عبد الحميد.

٧٧– محمد بن سنان الزاهري الخزاعي، أبو جعفر، المتوفى سنة ٢٢٠ هـ ، وكان من الرواة عن الامام الرضا (ع)، وله مؤلفات ذكرناها في كتابنا: الامام علي بن موسى الرضا (ع).

٧٨ –محمد بن عبد الجبار.

٧٩ – محمد بن عبد الله المدائني.

٨٠ –محمد بن عبد الله بن مهران الكرخي، أبو جعفر، له مؤلفات، منها:

أ– كتاب التبصرة.

ب– كتاب القباب (كذا) .

ج– كتاب مقتل أبي الخطاب.

د- كتاب الملاحم.

هـ - كتاب الممدوحين والمذمومين.

و- كتاب مناقب أبي الخطاب.

ز- كتاب النوادر. (مجمع: ٥ / ٢٥٠)

٨١ -محمد بن عبدة، أبو بشر.

٨٢ - محمد بن الفرج الرخجي:

له كتاب مسائل. (مجمع: ٦ / ٢١)

٨٣ - محمد بن نصير.

٨٤ - محمد بن الوليد الكرماني البجلي، الخزاز (أو الخرار) (أو الخراز)، أبو جعفر:

له كتاب نوادر. (مجمع: ٦ / ٦٤-٦٥)

٨٥ - محمد بن يونس بن عبد الرحمن.

٨٦ - المختار بن زياد العبدي البصري.

٨٧ - مروك بن عبيد بن أبي حفصة:

له كتاب نوادر. (مجمع: ٦ / ٨٤)

٨٨- مصدق بن صدقة.

٨٩ - معاوية بن حكيم بن معاوية بن عمار الكوفي، له من المؤلفات:

أ- كتاب الحدود.

ب- كتاب الحيض.

ج- كتاب الديات.

د- كتاب الطلاق.

هـ - كتاب الفرائض.

و- كتاب النكاح.

ز- كتاب نوادر. (مجمع: ٦ / ٩٨)

٩٠- منذر بن محمد بن المنذر بن سعيد بن أبي الجهم قابوس، أبو القاسم، له مؤلفات، منها:

أ- كتاب جامع الفقه.

ب- كتاب الجمل.

ج- كتاب صفين.

د- كتاب الغارات.

هـ - كتاب النهروان.

و- كتاب وفود العرب الى النبي (ص). (مجمع: ٦ / ١٤١)

٩١ -منصور بن العباس الكوفي أو البغدادي: أبو الحسين، وكانت داره بباب الكوفة ببغداد:

له كتاب كبير في النوادر. (مجمع: ٦ / ١٤٤)

٩٢ - موسى بن داود المنقري.

٩٣ - موسى بن داود اليعقوبي.

٩٤ - موسى بن عبد الله بن عبد الملك بن هشام.

٩٥ - موسى بن عمر بن بزيع الكوفي:

له كتاب. (مجمع : ٦ / ١٥٨)

٩٦ – موسى بن القاسم بن معاوية بن وهب البجلي، كان من الرواة عن الامام الرضا(ع) ، وله مؤلفات وردت أسماؤها في كتابنا : الامام علي بن موسى الرضا (ع).

٩٧ – نوح بن شعيب البغدادي، وقيل: هو نوح بن صالح.

٩٨ – هارون بن الحسن بن محبوب بن وهب بن جعفر بن وهب البجلي:

له كتاب نوادر.(مجمع : ٦ / ٢٠٠)

٩٩– يزداد.

١٠٠ – أبو جعفر البصري، ولعله محمد بن الحسن بن شمون المتقدم الذكر.

١٠١ – أبو الحصين بن الحصين الحضيني أو الحصيني.

١٠٢ – أبو خداش المهري البصري.

١٠٣ – أبو سارة.

١٠٤ – أبو سكينة الكوفي.

١٠٥ – أبو مساور (أو أبو مشاور).

١٠٦ – زهراء أم أحمد بن الحسين البغدادي.

١٠٧– زينب بنت محمد بن يحيى.

وبعد..

فهذا هو محمد بن علي الثاني (ع) في قمم علائه وسماوات مجده، وفي سامق مقامه وشامخ سؤدده، وفي توهج لمعانه وتبلج أضوائه. وذلك هو نثار علمه المأثور الناطق، وعباب فضله المواج الهادر، وسمو مواهبه المشرقة المتألقة. وتلك هي مراتبه الفذة الباهرة في الحياة الدنيا، ودرجاته الرفيعة الخالدة في جنات الفردوس مع النبيين والصديقين. فمن يدانيه في جميع ذلك – يا ترى – أو يوازيه؟، وأي انسان في عصره استطاع أن يجمع في مطاوي ذاته كل هذه الصفات والسمات ، وأن تتلألأ في مباهج قسماته كل هذه المعاني والدلالات؟.

انه وارث المصطفى (ص) سيد خلق الله وخاتم المرسلين، وابن الامام الرضا من آل محمد المنتجبين، وحفيد (العبد الصالح كاظم الغيظ) ابن الصالحين الكاظمين، وسليل الحلقات الذهبية المترابطة التواصل:من (صادق القول) و (باقر العلم) و (زين العابدين) الى (سيد شباب أهل الجنة) و (قائد الغر المحجلين أمير المؤمنين) سلام الله عليهم أجمعين.

انه خلاصة أولئك الذين آتاهم الله ما لم يؤت احداً من العالمين، وكرمهم بما لم يكرِّم به غيرهم من السابقين واللاحقين، فطأطأ كل

شـــريف لشـــرفهم، وبخع كل متكبر لمجدهم، وخضع كل جبـــار لفضلهم، وأشرقت الأرض بـــنورهم، وفاز الفائزون بالتمســـك بولايتهم وانتهاج نهجهم. فصلوات الله الطيبات وتحياته المباركات تغدو وتروح عليهم جميعاً أولاً وأخيراً، وفي البدء والختام.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق، عليه توكلنا وبه نستعين، وسبحانه و تعالى عمايشركون، وعلى الله فليتوكل المؤمنون.

فهرس المصادر

- الأئمة الاثنا عشر/لابن طولون الدمشقي، بيروت ١٣٧٧ هـ
- اثبات الوصية/ للمسعودي- المطبعة الحيدرية ، النجف (بـــلا تاريخ)
- الاحتجاج/ لأحمد بن علي الطبرسي، طهران ١٤١٦ هـ
- الاختصاص / المنسوب للمفيد، طهران ١٣٧٩ هـ وبـــيروت ١٤١٤ هـ
- الارشاد/ لمحمد بن محمد بن النعمان المفيد ، طهران ١٣٠٨ هـ
- الأغاني/ لأبي الفرج الأصبهاني ج ١٠ ، القاهرة (طبعة مصورة)
- الامام علي الرضا (ع) لمحمد حســـن ال ياســـين ، بـــيروت ١٤٢١هـ
- بحار الأنوار/ للمجلسي ج ٥٠ ، طهران ١٣٨٩ هـ
- البداية والنهاية / لابن كثير الدمشقي، القاهرة ١٣٥١ هـ
- تاريخ / أبي الفدا، القاهرة ١٣٢٥ هـ
- تاريخ / الطبري، القاهرة ١٩٦٣ م
- تاريخ / اليعقوبي، النجف ١٣٥٨هـ
- تاريخ بغداد/ للخطيب البغدادي، بيروت (طبعة مصورة)
- تاريخ الخلفاء/ للسيوطي ، القاهرة ١٣٥١هـ
- تاريخ الخميس / للديار بكري، القاهرة ١٢٨٣ هـ

-تاريخ المشهد الكاظمي/ لمحمد حسن ال ياسين، بغداد ١٣٨٧هـ
- تحف العقول / لابن شعبة الحراني، النجف ١٣٨٣ هـ
- تذكرة الخواص/ لسبط ابن الجوزي، النجف ١٣٦٩ هـ
- التهذيب/ لمحمد بن الحسن الطوسي، طهران ١٣٩٠ هـ
-جواهر الكلام / للشيخ محمد حسن النجفي ج ٢٠، النجف ١٣٨٩ هـ
- دلائل النبوة/ للبيهقي، بيروت ١٤٠٥ هـ
- ديوان / السيد حيدر الحلي- نشرة الخاقاني-، النجف ١٣٦٩هـ
- ديوان/ عبد الباقي العمري، النجف ١٣٨٤ هـ
- ديوان / عبد الغفار الأخرس ، استانبول ١٣٠٤هـ
-ذخائر العقبى/ لمحب الدين الطبري- نشرة القدسي-، القاهرة (طبعة مصورة)
- سنن / أبي داود ، القاهرة ١٣٧١ هـ
- سنن/ الترمذي، القاهرة ١٣٥٦هـ
- شذرات الذهب/ لابن العماد الحنبلي ، القاهرة ١٣٥٠هـ
- صحيح/ البخاري- طبعة محمد علي صبيح-، القاهرة (بلا تاريخ)
- صحيح/ مسلم _ طبعة محمد علي صبيح-، القاهرة (بلا

تاريخ)
- الصواعق المحرقة / لابن حجر الهيتمي، القاهرة ١٣١٢ هـ
- العبر/ للذهبي ، بيروت ١٤٠٥هـ
-عقيدة الشيعة/ لدونالدسن - الترجمة العربية -، القاهرة ١٣٦٥هـ
- عمدة الزائر/ للسيد حيدر الحسني، بيروت ١٣٩٩ هـ
- عمدة الطالب/ للداوودي النسابة ، النجف ١٣٥٨ هـ
- عيون أخبار الرضا / للصدوق، ايران ١٣١٨ هـ
-الفتوح/ لابن أعثم الكوفي، الهند ١٣٨٨ هـ
- الفخري/ لابن الطقطقى، القاهرة ١٩٣٨ م
- الفصل/ لابن حزم، بيروت ١٣٩٥هـ
- الفصول المهمة/ لابن الصباغ المالكي ، النجف ١٣٧٠ هـ
- الفهرست/ لابن النديم ، طهران ١٣٩١ هـ
- الكافي/ لمحمد بن يعقوب الكليني، طهران ١٣٧٥هـ
- الكامل في التاريخ / لابن الأثير، القاهرة ١٣٥٧هـ
- كشف الظنون/ لحاجي خليفة،استانبول ١٣٦٠ هـ
- كفاية الطالب / للكنجي الشافعي، النجف ١٣٥٦هـ
- ماثر الانافة / للقلقشندي، الكويت ١٩٦٤ هـ
- مجمع الرجال/ للقهبائي، طهران ١٣٨٤ هـ
- المحبر/ لمحمد بن حبيب، الهند ١٣٦١ هـ

- مرآة الجنان/ لليافعي، الهند ١٣٣٧ هـ
- مروج الذهب/ للمسعودي، القاهرة ١٣٥٧ هـ
- مسند/ أحمد بن حنبل، بيروت ١٣٨٩ هـ
- مطالب السؤول/ لمحمد بن طلحة الشافعي، النجف ١٣٧١هـ
- المعارف / لابن قتيبة، القاهرة ١٩٦٠ م
-المعجم الكبير/ للطبراني ج ٢، بغداد ١٣٩٨ هـ
-معجم البلدان/ لياقوت الحموي، القاهرة ١٣٢٣ هـ
- من لا يحضره الفقيه/ للصدوق، النجف ١٣٧٨هـ
- المناقب/ لابن شهراشوب السروي، طهران ١٣١٧ هـ
- منهاج السنة / لابن تيمية، القاهرة ١٣٢١ هـ
- النجوم الزاهرة/ لابن تغري بردي، القاهرة (طبعة مصورة)
-نهج البلاغة/ تعليق الشيخ محمد عبده - طبعة البابي الحلبي، القاهرة (بلا تاريخ)
- نور الأبصار/ للشبلنجي، القاهرة ١٣٥٦هـ
-الوافي بالوفيات / للصفدي ج ٤، بيروت ١٣٨١ هـ
-وفيات الأعيان /لابن خلكان، القاهرة ١٣٦٧ هـ
- ينابيع المودة / للقندوزي الحنفي، استانبول ١٣٠٢هـ

فهرس مطالب الكتاب

المقدمة ٥-١٠

محمد بن علي الجواد بين ولادته وإمامته ١١-٢٣

- ولادته :يومها وشهرها وسنتها -كنيته - ألقابه-أُمُّه -نشأته- زواجه وأولاده- بعض ما عانى من آلام دهره في هذه السنوات- .

محمد بن علي الجواد (ع) بين إمامته وشهادته ٢٥-٥٧

- نصُّ أبيه على إمامته - النصوص النبوية العامة و الخاصة الدالة على إمامته- الامام الجواد (ع) في علمه وفضله، وفي كرمه وسخائه، وفي مناقبه وفضائله - المدَّعيان للامامة والخلافة في عصره: المأمون والمعتصم ولمحات مما جاء في بيان احوالهما وأفعالهما- نظرة موضوعية للمقارنة فيما قيل في الامام الجواد وما قيل فيمن ادَّعى الامامة من معاصريه -(٢٧-٣٦).

-موقف الامام من شؤون زمانه- مجمل علاقته بالمأمون- تظاهر المأمون بحبِّ الامام وتعظيمه والاعجاب به - استدعاء المأمون الامام من المدينة الى بغداد- عزم الخليفة على تزويج الامام ابنته أمَّ الفضل- إنكار العباسيين ذلك وسخطهم عليه-

مصارحتهم المأمون برفض هذه المصاهرة بحجة انه شاب لم يكمل تعليمه- تأكيد المأمون على كمال علمه وفقهه- اتفاقهم جميعاً على امتحان الامام- الجلسة الامتحانية بحضور الخليفة وجميع المعنيين بالأمر- براعة الامام (ع) في الحوار والاجابة وتخاذل كبير القضاة أمامه - تنفيذ المأمون أمر الزواج وإجراء العقد الشرعي - مراسيم الفرح بهذه المناسبة - (٣٧-٤٧).

-مغادرة الامام (ع) بغداد بزوجته عائداً الى المدينة- وفاة المأمون- انتقال الحكم الى المعتصم- استدعاؤه الامام وزوجته الى بغداد- إظهار المعتصم الحفاوة بالامام وتكرار لقائه به - التجاء الخليفة الى الامام في بعض مسائل الخلاف الفقهية والعمل بما يرشده اليه- تصاعد مراجعة الناس للامام في بغداد وثقل ذلك على المعتصم - (٤٧-٥٢).

-وفاة الامام على نحو مفاجيء -ذهاب بعض المؤرخين الى أن ذلك كان بالسم والى أن زوجته هي التي دست السم باشارة من عمها - تأريخ

الوفاة: يومها وشهرها وسنتها - موضع قبره الشريف- روعة بناء مشهده وبدائع الفن فيه- شواهد من أشعار الشعراء في وصف المشهد- (٥٢-٥٧).

تراث الإمامة ٥٩-٩٠

- منابع علم الامام (ع) ومصادر معرفته - اتصال ذلك بوحي الله وسنة رسوله(ص) - روايته عن أبيه الامام الرضا(ع) -(٦١-٦٣).

-شواهد من ذلك التراث، في العلم والعقل، في مسائل علم الكلام والتوحيد ، في الاسلام والقرآن ، في الحديث وتمييز صحيحه من موضوعه ، في الفقه والفرائض والأحكام ، في الأخلاق والسلوك، في الدعاء والابتهال - (٦٤-٧٢).

-رواة تراث الامام الجواد (ع) - أسماؤهم وأسماء مؤلفاتهم ومصنفاتهم (٧٣- ٩٠).

الخاتمة ٩١-٩٢

فهرس المصادر ٩٣-٩٦

فهرس مطالب الكتاب ٩٧-٩٩